ZATZAT

فضـاء فنـي مؤقـت – العدد 5 – جانفي 2021

ZAT

فضـاء فنـي مؤقـت – العدد 5 – جانفي 2021

Z

فضـاء فنـي مؤقـت – العدد 5 – جانفي 2021

AT

فضـاء فنـي مؤقـت – العدد 5 – جانفي 2021

Z

فضـاء فنـي مؤقـت – العدد 5 – جانفي 2021

A

T

فضـاء فنـي مؤقـت – العدد 5 – جانفي 2021

1

المقدمة

ص 3

يعمل فريق جمعية «الشارع فن»، من خلال برنامجه «فنون و تربية» وهو برنامج تمّ إنشائه سنة 2012، من أجل نماء الطفل عن طريق الفن، إذ يُعد النفاذ إلى التربية الفنيّة حقًا أساسيًا للطفل باعتباره مسألة ضرورية لتحقيق التنمية والازدهار الفردي والجماعي.

بروتوكول قسمي الأحلى

ص 6

يهدف مشروع قِسمي الأحلى إلى توفير فضاءات مخصصة للإبداع، لتلاميذ المدارس الابتدائية العمومية، من خلال تشريك الوسط المحلّي ووزارة التربية ووزارة التعليم العالي، حيث يعمل طلبة وأساتذة معاهد وجامعات الفنون والفنانين والمصممين والمهندسين المعماريين جنبًا إلى جنب مع المعلمين والتلاميذ والأولياء من أجل تحويل إحدى الفضاءات داخل المدرسة إلى فضاء مُخصّص للنشاط الإبداعي. وفيما يلي المراحل الرئيسية للبروتوكول الذي يسمح للهياكل الجمعيّاتيّة باستئناف المشروع.

تفكيك العنف عن طريق الفن، مُقاربة علم النفس

ص 20

تولّت مجموعة من الأخصائيين النفسيين من مُختلف التخصّصات، بمعيّة أطبّاء النفس المختصّين في علاج الأطفال،تسيير لقاءات وورشات تعبير بواسطة الفن (فقط مع الأطفال)، وتنظيم حلقات نقاش مع الأطفال والأولياء والمعلّمين والمعلّمات في المدرسَتين أين تم تنفيذ مبادرة قِسمي الأحلى. ويتمثل الهدف من وراء مرحلَتَي الملاحظة والمُرافقة في فهم آليات العنف وتقديم طرق لتفكيكه من خلال الفن والحوار بين الأفراد في الوسط المدرسي وداخل النّواة الأسريّة، من أجل السماح للطفل بتحقيق كامل إمكاناته.

الاعتمادات والشركاء

ص 40

مقدمة

«لقد نسينا أن الفن هو ما ينقذنا من وحشيتنا ويخلصنا على الأقل جزئيا من عنفنا الفتاك ومن تدمير همجيتنا المفترضة.» فيليب ميريو.

منذ سنة 1959 أصدرت الهيئات الدولية العديد من المعاهدات و الاتفاقيات للتأكيد على أهمية حقوق الطفل سواء مع إعلان حقوق الطفل والتي تنص على ما يلي: «يجب أن تتوفر للطفل كل الفرص للانخراط في الألعاب والأنشطة الترفيهية، ويجب على المجتمع والسلطات العمومية السعي لتعزيز التمتع بهذا الحق.» أو كما جاء في اتفاقية 1989 التي تؤكد من جديد : «تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في الراحة والترفيه والانخراط في اللعب والأنشطة الترفيهية المناسبة لسنه والمشاركة بحرية في الحياة الثقافية والفنية.»

الطفل مواطن كامل وحر ويجب أن يلعب التعليم (في المجالين الخاص والعمومي) دورا أساسيا في هيكلة هذا المواطن ونموه لذا فمن الضروري أن يقدم له الوسائل ليصبح فاعلا مما يسمح له بفهم العالم الذي يحيط به ويتيح له التعامل معه في إطار المعرفة واحترام الآخر. ولكن في العديد من المجتمعات ومن خلال طريقة تسييرها، يشهد الإطار المعيشي أشكالا مختلفة من العنف الذي يضر بنمو الطفل.

إن منظمة الصحة العالمية تقدر أن عدد الأطفال الذين تعرضوا الى عنف جسدي أو جنسي أو عاطفي أو إهمال والذين تتراوح أعمارهم بين عامين و17 سنة قارب 1 مليار طفل في سنة 2019. لمكافحة هذا العنف تم إستعمال العديد من الأساليب سواء باستخدام التواصل الغير عنيف عبر وسطاء(فرنسا) أو اخلق فضاء تعبير للشباب في الأحياء (فينزويلا) أو عبر الرياضة(البرازيل) أو الممارسة الفنية (كندا / بلجيكا).

أظهرت مختلف هذه المبادرات التي جربت في المناطق المتضررة من العنف أن الاستماع للطفل وممارسته لنشاط ما يتيح له بناء نفسه والتعامل بشكل أفضل مع بيئته من خلال الوعي بذاته وبقدراته.

باتباع التوصيات الخاصة بحقوق الطفل تبين الدراسات أن النفاذ الى الثقافة والتعليم الموجه الى الطفل يمكن من تفكيك العنف في المحيط الأسري أو في الوسط المدرسي وفي الحياة اليومية.

تهدف جمعية «الشارع فن» التي تم بعثها سنة 2006 بالمدينة العتيقة بتونس العاصمة الى دمقرطة الفن، واكتساحه الفضاء العام، و ذلك بخلق مبادرات مختلفة، وإقامة مشاريع فنية وتعليمية مع السكان المحليين، وتنظيم لقاءات تمكن من تبادل الآراء وتقبل الاختلافات، وتوفر مجالات للممارسة الفنية بدءا بالفنون التشكيلية والمسرح والرقص والموسيقى والكتابة الى مسرح العرائس.

يعمل فريق «الشارع فن» على مسألة نماء الطفل عبر الفن من خلال برنامج «فنون وتربية» الذي تم إنشاؤه سنة 2012.

يعد الولوج الى تعلم الفنون من الحقوق الأساسية للرشد وللأطفال، ذلك أنه ضروري للنمو الفردي والجماعي وللرفاه. يسمح النفاذ الى تعبير فني في سن مبكرة ببناء الذات والانسجام معها ومع محيطنا العاطفي والجسدي. من خلال ورشات العمل الفنية والإقامات الفنية المفتوحة، وبالتفاعل مع محيطها المادي، تضع جمعية «الشارع فن»، الفن في قلب التبادل والحوار بين الأجيال وبين الفرد والفضاء الذي يعيش فيه.

من خلال مبادرة «قسمي الأحلى» التي أطلقها متحف العمارة والتراث بباريس، تمكنت جمعية «الشارع فن» من خلق فضاءات مخصصة للأنشطة الفنية في 9 مدارس ابتدائية ب4 ولايات في تونس، و ذلك بطريقة تشاركية مع التلاميذ و الاطار التربوي.

ففي الواقع هذه المبادر لا تتمثل في إنشاء قسم وتسليمه للمدرسة، بل الهدف منها تشريك كل الفاعلين في المحيط المدرسي من تلاميذ وإطار تربوي وأولياء.

يمثل التلاميذ المنتخبون من قبل زملائهم المحور الرئيسي، فهم يتعرفون على مفهوم المواطنة وعلى حقوقهم وواجباتهم تجاه المجموعة، و يعدون الفضاء بالاشتراك مع الأولياء والإطار التربوي والمهندسين المعماريين وطلبة المعاهد العليا للفنون والحرفيين المحليين، لتحويله من فضاء تقليدي إلى فضاء للإبداع والتعبير، فضاء يسمح لهم من خلال ورشات مع الفنانين بالتعرف على مختلف الاختصاصات الفنية.

في الواقع تتمثل أهمية المشروع في اختيار المدرسة، في محيطها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وفي الطابع التشاركي للمشروع، حيث يتعين على الجميع تبادل أفكارهم والدفاع عن آرائهم وتعلم قواعد الحوار وتجاوز الاختلافات دون عنف.

تسمح هذه التجربة بخلق علاقة جديدة تتجاوز الطابع الأفقي التقليدي (طفل/ راشد – معلم/ تلميذ – ولي/ طفل) ولكنها تسمح بنقل المعرفة بين الأجيال و التفاهم و التسامح مع ما يفعله و ما يفكر به كل شخص داخل المجتمع. بالإضافة الى ذلك تجد المدرسة نفسها في قلب المجتمع وتنسج جسورا مع مختلف الكيانات التي تشكلها في إطار الإدراك المادي للمكان.

هذا الفضاء الجديد الذي تم إنشاؤه داخل المدرسة يؤكد على الحاجة إلى وضع الممارسات الفنية في قلب إطار أكبر، يجمع بين العلاقات الإنسانية والتعليم، حيث يكون الطفل هو المحور، ليتمتع بوسائل يضعها الفنان تحت تصرفه ليمنحه تصورا آخر لما هو عليه ولما يحيط به.

في الواقع تتمثل أهمية المشروع في اختيار المدرسة، في محيطها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وفي الطابع التشاركي للمشروع، حيث يتعين على الجميع تبادل أفكارهم والدفاع عن آرائهم وتعلم قواعد الحوار وتجاوز الاختلافات دون عنف.

هذه الورشات المتعددة تمنح للأطفال حرية الكلام والتعبير عن رغباتهم وتستمع الى خيالهم. كما هو شأن الورشات الفنية التي تقام بمقر جمعية « الشارع فن »، فالفكرة هي السماح للأطفال بالاكتشاف والتواصل مع العالم من خلال انتاجاتهم الفنية.

تتموقع جمعية « الشارع فن » في حي شعبي بالمدينة العتيقة كما هو الشأن بالنسبة للمدارس المختارة لمشروع « قسمي الأحلى »، حيث تتميز العلاقات الاجتماعية في هذه المناطق الهشة بالتوترات على الصعيد الأسري والاقتصادي والمدرسي....

في سنة 2015 ومن خلال إقامة الفنان السوري عمر أبو سعادة، في مدرسة، ثم من خلال ورشات العمل مع الأطفال داخل مقر الجمعية او في المدارس، لاحظ أن طريقة مخاطبة الآخر والمشاركة وفرض النفس في المجموعة تتميز بالعنف في الكلام وفي الحركة، وتوصل الى أن الممارسة الفنية تساعد على تهدئة هذا النوع من التوتر. ولتعزيز هذا التصور تجري لجنة من أخصائي الطفولة منذ سنة 2018 دراسة لتحليل الأليات المستخدمة لتفكيك العنف عن طريق الفن. وقد تم إنشاء آليات مراقبة ومرافقة للأطفال والأولياء والمدرسين بمشارك خبيرات بالطفولة وأخصائيين في علم النفس وأطباء نفسيين.

إنه مشروع تدخل متعدد الأبعاد والأول من نوعه، يهدف الى تفكيك العنف عن طريق الفن في الوسط المدرسي في تونس ما بعد الثورة. من التصور الى الانجاز تم تنفيذ المشروع في مدرستين ابتدائيتين بالمدينة العتيقة بتونس العاصمة على مدى ثلاث سنوات. بواسطة الأدوات الفنية أقيمت العديد من ورشات العمل التي سيرها الاخصائيين في علم النفس، من اختصاصات مختلفة، وكان الهدف منها تحسين التواصل بين الأطفال وأوليائهم وبين الأطفال ومدرسيهم وبين الأطفال أنفسهم وبين الأولياء والمدرسين.

هذا التمشي التشاركي والديناميكي والتحرري يساعد على فهم جوهر السلوك العنيف وتحديد عوامله، والعمل على تحسين طرق الوقاية منه للحصول على بيئة مدرسية أفضل. كما يساعد على تحليل الدور الذي يلعبه الفن في تفكيك العنف.

يهدف هذا التمشي الى توعية الأطفال ليكونوا فاعلين في حياتهم الخاصة و يحسنوا التعامل مع محيط عيشهم فهم يمثلون مواطني الغد.

هذا العدد من مجلة : الفضاء الفني المؤقت يقدم نتائج هذه الدراسة وبروتوكول يسمح بمضاعفة مبادرات « قسمي الأحلى » في تونس. منذ 15 سنة من نشأتها عززت جمعية « الشارع فن » هدفها المتمثل في إتاحة الفن والثقافة للجميع ومن الجميع ومع الجميع.

5

ورشة عمل للفنون التشكيلية وورشة فن الحرائس في مدرسة باب سويقة، مدينة تونس، 2019 و2020.

بروتوكول

لتسهيل القراءة سيتم استبدال مشروع «قسمي الأحلى» أحيانا باختصار(ق-أ).

يلعب الفن دورا أساسيا في نماء الأطفال لأنه وسيلة ممتازة للتعبير والتواصل مع مشاعرهم ومراكز اهتماماتهم، فالفن يساعد الطفل على التواصل مع بيئته والتفاعل مع العالم الخارجي وإيجاد مكانة فيه. فالتربية الفنية «تسمح بتنمية حس الإبداع والمبادرة والخيال الخصب والذكاء العاطفي والقيم الأخلاقية وروح النقد والشعور بالاستقلالية، كذلك حرية التفكير والعمل لدى كل فرد» اليونسكو.

لقد كرست اتفاقية حقوق الطفل التي صادقت عليها تونس سنة 1991 ودستور سنة 2014 حقوق الطفل لكن تعليم الفنون مازال بعيدا عن ادماجه في النظام المدرسي، ففي المدرسة الإعدادية والثانوية تقتصر البرامج في مجال الفنون على الموسيقى والفنون التشكيلية ومع ذلك فإن التجارب الفنية في الإطار المدرسي لها نتائج ايجابية للغاية. في الواقع يعمل تعليم الفنون على تجنب العنف والانقطاع الدراسي ونشر ثقافة التسامح مع تعزيز العلاقات بين الأجيال وبين التلاميذ والمعلمين، غياب المكان المناسب في المدارس العمومية و نقص التكوين والموارد لدى المدرسين ساهم في عدم تمتع الأطفال بالأنشطة الفنية والثقافية في الإطار المدرسي ولما لاحظت انعدام فضاء مخصص للتعبير الفني في المدارس الابتدائية العمومية بتونس، قادت جمعية «الشارع فن» مشروع «قسمي الأحلى» وطورته حسب خصوصية المناطق التونسية وتماشيا مع احتياجاتها ووسائلها وتحدياتها المعاصرة.

فالهدف من «قسمي الاحلى» بسيط، وهو منح تلاميذ المدارس الابتدائية أماكن مخصصة للإبداع والتعبير وبالتالي تحفيز خيالهم وتعزيز استقلاليتهم عبر ورشات عمل فنية بإشراك محيطهم الاجتماعي ووزارة التربية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

لأجل ذلك يعمل طلبة واساتذة المعاهد العليا للفنون والفنانون والمصممون والمهندسون المعماريون مع معلمي المدارس الابتدائية العمومية والتلاميذ والأولياء من أجل تحويل او تهيئة فضاء داخل المدرسة يخصص للقراءة والكتابة والفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى واي نشاط إبداعي آخر. وتعتمد هذه العملية أساسا على المشاركة المباشرة للمعلمين والأطفال وتعطى فيها الأولوية للحرف والمهارات المحلية.

بمجرد تهيئة الفضاء، تقام ورشات عمل فنية على مدار السنة الدراسية ينشطها طلبة الإجازة او الدكتوراه تحت إشراف أساتذتهم، بتعاون مع الإطار التربوي.

يتمكن الطلبة من إقامة هذه الورشات في إطار تدريباتهم العملية والتي يستفيد منها التلاميذ على مدار السنة، إذ توفر لهم تعليم فني جيد في فضاءات ملائمة للإبداع والخيال.

كي يكون مشروع «قسمي الأحلى» ناجحا، من الضروري إشراك كل الأطراف المعنية لإنجاز أعمال بالتعاون مع الوزارات المختصة، وقد وضعت جمعية «الشارع فن» من خلال خبرتها في مختلف المدارس الابتدائية بروتوكولا حتى تتمكن المنظمات والجمعيات من إعادة تنفيذ المشروع في مدارس أخرى من البلاد.

ويعد البروتوكول، كدليل مساعد يؤكد على جانب الابتكار في البرنامج، كأول مشروع من هذا النوع في تونس، وهو يحدد الخطوات التي يجب اتباعها لتسهيل تنفيذ مشروع «قسمي الأحلى»، بفضل هذا البروتوكول والعمل التعاوني بين وزارة التربية ووزارة التعليم العالي يمكن تعميم ممارسات مبتكرة وشاملة ذات آثار هامة على المحيط المدرسي في جميع أنحاء البلاد التونسية.

ركن المكتبة في مدرسة حي النور، القيروان، «قسمي الأحلى» 2019.

خلق فضاء جديد داخل المدرسة

هذا البروتوكول موجه الى المنظمات والجمعيات العاملة في المجال الثقافي أو الفني أو مجال الطفولة وحقوق الإنسان او مجالات أخرى ذات صلة بهذا المشروع في أي ولاية تونسية، والتي ترغب في تطوير نظرة عميقة حول الفضاءات المدرسية وتملك الحد الأدنى من الموارد المالية والبشرية لتنفيذ هذا البروتوكول بأكمله، او الى المؤسسات المحلية والبلديات والمندوبات الجهوية للتعليم والإدارات الجهوية للثقافة، كذلك المعاهد العليا للفنون الجميلة أو المعاهد العليا للفنون والحرف المتواجدة في المنطقة.

يتم تنفيذ مشروع «قسمي الأحلى» في المدرسة الابتدائية حيث يتعلق الأمر بتحويل فضاء في المدرسة الى مكان للإبداع، فضاء بمقاييس عالية الجودة وتصميم مناسب للأنشطة الثقافية والفنية، ويعتمد هذا التحويل على منهج تشاركي يراعي رغبات الطفل الذي هو محور العملية، وتطلعاته.

بروتوكول من 15 مرحلة

1 اختيار المدرسة

يحدد الهيكل الحامل للمشروع منطقة ومعايير اختيار المدرسة.
المعايير الرئيسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار هي:
– اختيار مدرسة في حي شعبي للتوجه للأطفال الذين هم في أشد الحاجة إلى المشروع.
– مراعاة احصائيات معدلات العنف والانقطاع الدراسي والنجاح المتوفرة لدى وزارة التربية والتعليم.
– اختيار مدرسة تتوفر بها قاعة شاغرة لتنفيذ مشروع «قسمي الأحلى».
– تتوفر دورات مياه صحية لضمان كرامة الطفل، ويجب أن تكون في حالة جيدة (أما مجددة من قبل الوزارة أو سيتم تجديدها خلال السنة الدراسية الجارية).

يتم تقديم معايير اختيار المدرسة الى ممثلين عن الوزارة أو الادارة الجهوية: مسؤول عن العلاقة مع المجتمع المدني وممثل عن إدارة البناء والتجهيز، وهما من سيختار ثلاث مدارس على الأقل وفقا للمعايير المذكورة أنفا و ينسقان الاتصال بمديري المدارس المختارة. ويزور الهيكل الحامل لمشروع «قسمي الأحلى» الأماكن المقترحة و يتعرف على الإطار التربوي و على مدى ترحيبهم بالمشروع وذلك للحرص على حسن سير المشروع و استمرارية الأنشطة.

2 تقييم الأشغال الكبرى

بعد أن يتم الاختيار من الضروري تقييم الوضع المعماري لاستكمال الاختيار وتعيين أنواع التدخلات الممكنة داخل القاعة، لذا يجب على المهندس المعماري والمهندسين المفوضين من المشرف على المشروع، الاشارة في تقرير، إن المبنى لا يتطلب تدخلا على مستوى الهيكل او البنية الارضية، وطوال فترة انجاز المشروع يرافق المهندس المعماري المشرف على المشروع .

3 الحصول على التراخيص الإدارية

بمجرد اختيار المدرسة يجب الحصول على التراخيص الضرورية لبدء مشروع «قسمي الأحلى». لكل مشروع خصوصياته ويتطلب تراخيص ادارية متعددة، اولا يجب البدء بصياغة تقرير حول المدرسة المعنية وجدول زمني مبدئي للتدخل يقدم إلى الوزارة والمندوبية الجهوية للتربية، يتم الحصول على ترخيص، إذن بالتدخل، على المستوى المحلي من قبل المندوبية الجهوية
لا يتم التدخل قبل الحصول على الوثيقة القانونية «الترخيص».

4 إعداد الميزانية

إن الجانب المالي مهم جدا لنجاح المشروع وفي الواقع فإن المراقبة وإجراءات الميزانية تسهم في جعل مشروع «قسمي الأحلى» قابلا للتنفيذ. في مرحلة أولى يتم إعداد ميزانية مؤقتة لتوضيح الاحتياجات المالية للمشروع والتي يجب التقيد بها أثناء التنفيذ. ويجب الامتثال

قبل وبعد، إعادة تهيئة قسم قديم وتحويله إلى فضاء مخصص للممارسات الفنية في مدرسة عبد العزيز لصرم المعروفة باسم كتاب لوزير مدينة تونس، «قسمي الأحلى» 2016.

لقوانين الدولة التونسية ويجب اتباع إجراءات مالية مطابقة لها، وأخيرا فإن المتابعة اليومية المصحوبة بمستندات المحاسبة ستمكن بعد ذلك من تعزيز التقرير المالي.

5 إقامة شراكات مالية

من الضروري تعيين شركاء ماليين أقوياء ثم إعداد طلب دعم يتضمن احتياجات ومطالب واضحة. ويمكن أن يكون الدعم عيني (مواد أولية، أجهزة...) في مختلف مراحل المشروع والتي يمكن لأولياء التلاميذ أن يساهموا في جمعها.

الأطراف الفاعلة

إنه من الضروري أن تلتزم جميع الأطراف، تلاميذ وأولياء وأساتذة وطلبة وحرفيين وموردين وعمال الحي بالمشروع. ويجب ضمان تواصل جيد بين الجميع و ذلك بتنظيم لقاءات و اجتماعات

تنظيم لقاءات عرض المشروع بحضور التلاميذ والادارة والمعلمين والأساتذة والطلبة المختارين وتنظيم مقابلات ولقاءات مع الأولياء والحرفيين والموردين المحليين لشرح التأثير الإيجابي الذي سيكون للمشروع على الاقتصاد المحلي والترابط الاجتماعي، كما يجب الحفاظ على أنشطة الوساطة طوال فترة انجاز المشروع.

6 انتخاب ممثلي التلاميذ

من أجل ضمان السير الجيد لمشروع «قسمي الأحلى» لا يمكن تشريك جميع تلاميذ المدرسة بشكل عام والحال أنه عموما تضم المدارس الابتدائية العمومية بتونس ما بين 120 و 1200 تلميذ، لذلك من الضروري تعيين مسير المشروع مع الإطار التربوي عدد الأقسام المعنية بالمشروع. يجب إعلام بقية التلاميذ بأنه عندما يجهز الفضاء سيكون مفتوحا لجميع تلاميذ المدرسة.

بفضل الجمعيات المتخصصة في مجال الحقوق المدنية أو الأشخاص ذوي الخبرة سيتم إقامة ورشات عمل لمناقشة المشروع وتمثيلية الأطفال. تسمح هذه الورشات حول المواطنة للتلاميذ بتحمل المسؤولية تجاه زملائهم وتمكنهم من أن يشرحوا لهم ويبلغهم الواجبات والحقوق المرتبطة بالمواطنة، كما تحاول هذه الحصص توعية الأطفال بمستقبلهم وتساعدهم على التحكم في البيئة التي يعيشون فيها ليصبحوا مواطني الغد. وفي نهاية الحصص يختار التلاميذ ممثليهم في إطار احترام الإجراءات الانتخابية ووفقا لمبدأ التناصف (صبية وصبي لكل فصل).

يكون ممثلو التلاميذ حاضرين على امتداد المشروع الى جانب بقية المتدخلين، وهم يحملون أراء جميع الأطفال ورغباتهم، هذا العنصر ضروري لإشراك الأطفال والمدرسين وتحميلهم مسؤولية هذا المشروع.

7 اختيار المهندسين المعماريين والمصممين

إن أحد أهداف مشروع «قسمي الأحلى» هو خلق التعاون بين وزارة التربية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي مع تشجيع العمل المدني، ولهذا سيستفيد الطلبة المتطوعين من معاهد الفنون و جامعات الهندسة المعمارية والتصميم من الخبرة الميدانية العملية، و يساهمون في إثراء الروابط بين الأجيال من خلال المشاركة في هذا المشروع بالإنطلاق من فضاء موجود لخلق فضاء يتماشى مع الأنشطة الفنية. سيتم اختيار الجامعة العمومية في حدود 100 كم من المدرسة المعنية بالمشروع. وبمجرد اختيار الجامعة تقوم المنظمة المنفذة للمشروع وإدارة المعهد بتوقيع اتفاقية شراكة وتختار الإدارة ومجلس الأساتذة، أساتذة للمشاركة في مشروع «قسمي الاحلى» وهم بدورهم يختارون الطلبة. وفي صورة عدم وجود معهد أو جامعة للفنون في المنطقة يمكن استدعاء مهندسين معماريين او مصممي ديكور داخلي محترفين مقيمين بالمنطقة. من الضروري تحديد المهندسين المعماريين والمصممين الذين من المحتمل أن ينضموا الى المشروع بصفة طوعية.

بعد اختيار المدرسة وانتخاب ممثلي الأطفال وتقييم الأشغال الهيكلية واختيار الطلبة، تنطلق ورشات التصميم.

8 إقامة ورشات التصميم

يعمل ممثلو التلاميذ مع طلبة مدارس الهندسة المعمارية والفنون الجميلة او التصميم أو المهندسين المعماريين أو المصممين المتطوعين لمدة بين 3 و 7 أيام لخلق تصور جديد للفضاء. ورشات العمل هذه مع الأطفال تهدف إلى تحفيز إبداعهم ودفعهم الى تخيل فضائهم الجديد حسب خبراتهم وحسب الأنشطة المطلوبة. ويتبع الطلبة منهجية معتمدة من قبل أساتذتهم لتوجيه الأطفال أثناء تمرين التصميم من أجل التوصل إلى خلق فضاء يتناسب مع رغبات الأطفال، من الضروري أن يدرك كل طرف الفضاء المتوفر، فالطفل يستلهم من تجربته الخاصة ومن رغباته ومن الصور والرسوم التوضيحية مراجع لإنشاء فضاءات ومجموعات نقاش وزيارات للأماكن الثقافية وأماكن اللعب. كما تسمح له الدراسة من خلال أدوات فنية بالتعبير عن أفكاره لتحويل فضاء موجود إلى مكان جديد يلبي رغباته.

يقوم الطلبة بجمع أجوبة الأطفال والتي تعد الأساس لمعرفة احتياجاتهم ووضعها في إطارها الصحيح وذلك في ظرف يستغرق شهرا واحدا لتقديم ثلاث مقترحات: توفر قاعة مضيئة ونموذجية،

إبراز إمكانيات المبنى الموجود والتناسق بين التصميم والميزانية المقترحة للأشغال، ولكن أيضا استخدام المنتجات والمواد المحلية. يقدم الطلبة مقترحات التصميم الخاصة بهم الى ممثلي الأطفال، ويختار الأطفال ما ينال اعجابهم وما يعبر أفضل عن رغباتهم، وعندئذ يمكن للأشغال أن تنطلق.

البناء

9 إعداد ملف تنفيذ الأشغال والتخطيط لها

تتمثل هذه الخطوة في تحديد مراحل الأشغال الضرورية حتى الانتهاء من المشروع، يتطلب كل نوع من التدخل تحديد المراحل الخاصة بمساعدة المهندس المعماري أو رئيس الأشغال، فالمهندس المعماري او رئيس الأشغال يطرح جدول العمل من أجل تنظيم جميع مراحل المشروع وفق جدول زمني، ويوزع الفترات الزمنية المخصصة لكل مرحلة لحسن سير مختلف أنواع التدخلات. ويمكن بعد ذلك تعديل الجدول الزمني وفقا للاحتياجات والتغييرات التي يصادق عليها رئيس الأشغال. ومن الضروري أيضا تقديم وصف مفصل لاحتياجات حظيرة البناء من حيث المعدات التي سيتم استخدامها ومواد البناء اللازمة واليد العاملة المطلوبة. وانطلاقا من ذلك يجب تعيين الأطراف المعنية ووضع عروض الأسعار وإعطاء الأولوية للشركات ومكاتب الدراسات والحرفيين المحليين.

10 اختيار المتدخلين

بعد تحديد عروض الأسعار من الضروري إمضاء عقد لكل مقدم خدمة يذكر فيه المهام المختلفة التي يتعين عليه القيام بها، وأجل التنفيذ ومبلغ العقد وطريقة الخلاص أجال الضمان، بالإضافة إلى فواتير الشراء. يعمل كذلك المتدخلون على شكل البناية كما يعملون على محتواها (صناعة الأثاث وتغيير الفضاء).

11 انطلاق الأشغال

يتطلب مشروع البناء مراقبة صارمة لموقع الأشغال لضمان السير الجيد للعمل واحترام الآجال، ولكن أيضا لمراقبة جودة التنفيذ وضمان الامتثال لمعايير البناء. يحدد المهندس المعماري او رئيس الأشغال جدول العمل من أجل تنظيم جميع مراحل المشروع وفقا لجدول زمني يأخذ بعين الاعتبار الجدول الزمني المدرسي ولا سيما ما يتعلق بالأشغال الكبرى، فيوزع الفترات الزمنية المخصصة لكل مرحلة لحسن سير العمل لمختلف المتدخلين، ويمكن بعد ذلك تعديل جدول العمل حسب الاحتياجات والتغييرات التي يصادق عليها رئيس الأشغال.

يتم تحديد زيارات لموقع البناء وفقا لتقدم الأشغال، والحد الأدنى زيارة أسبوعيا، بالإضافة الى ذلك يمكن للتلاميذ تقديم المساعدة في مهام معينة مثل تنظيف الحديقة أو طلاء الأثاث وما الى ذلك.

12 افتتاح الفضاء

يعد افتتاح الفضاء حدثا هاما لذلك يجب حسن اختيار التاريخ حتى يكون جميع الأطراف الفاعلة حاضرين، من الحرفي الى ممثلي الوزارتين والأولياء الذين يمكن أن يطلب منهم المشاركة في الإعداد لهذا الحدث وجميع التلاميذ. هناك العديد من العوامل تحدد اختيار تاريخ الافتتاح وهي الموعد النهائي للمشروع والجدول الزمني للأشغال الذي حدده رئيس الأشغال وإمكانية التغييرات في أجال العمل (تمديد او تقليص) إلى آخره كما يخضع التاريخ أيضا الى الزمن المدرسي. إنه وقت جيد للتواصل لأنه سيسمح بشكر جميع الفاعلين في المشروع وشرح سير انطلاق ورشات العمل.

إنه من الضروري التفكير في استغلال القاعة مستقبلا منذ البداية ومن ثم محاولة وضع أنشطة مع الاطار التربوي، أو الإعداد الذي ينظمه حامل المشروع، بعبارة أخرى يجب التأكد من أن القاعة لن تظل مغلقة ولن تستخدم كقاعة درس عادية أو كقاعة للمعلمين، ولذلك يجب تنظيم عدة اجتماعات مع إدارة المدرسة والمدرسين من أجل تعزيز الوعي بأهمية إحياء القاعة بأنشطة فنية وثقافية. الافتتاح هو أيضا فرصة للتحدي السياسي والإصرار على استمرارية المشروع عبر الزمن وتعبئة الجهات الراعية الجديدة المحتملة.

الورشات الفنية في المدارس

حسب الدكتورة برسكاوستلن، المديرة الجهوية لمنظمة الصحة العالمية بأوروبا، بمناسبة نشر دراسة حول الآثار الإيجابية للفن على رفاهنا: «إن إدماج الفن في حياة شخص ما من خلال أنشطة مثل الرقص أو الغناء أو زيارة المتاحف وحضور الحفلات الموسيقية، يمنحنا مفتاحا إضافيا لتحسين صحتنا الجسدية والعقلية.»

وقد أثبتت الدراسات على المستويين الدولي والوطني أهمية ممارسة أنشطة فنية في المحيط المدرسي. «إن تطوير الأنشطة الفنية والتشجيع عليها في فترة الطفولة ضرورة لرفاه الطفل.» (زينب عباس).

طلبة من مدرسة العلوم وتكنولوجيا التصميم بالدندان يعملون لتحقيق أحلام أطفال مدرسة باب سويقة، مدينة تونس، 2017.

ورشة عمل حول الوعي بالفضاء مع أطفال من مدرسة باب سويقة، مدينة تونس، «قسمي الأحلى» 2017 .

ركن المكتبة في مدرسة نهج المر، مدينة تونس، «قسمي الأحلى» 2018.

الحظيرة مع الحرفيين المحليين، «قسمي الأحلى» في مدرسة عبد العزيز لصرم المسماة كتاب لوزير، مدينة تونس 2016.

بمجرد الانتهاء من تغيير القاعة يؤهل الفضاء بشكل مثالي ببرامج التعليم الفني من شتى الاختصاصات وبإشراك طلبة المعاهد والجامعات الفنية وبالتعاون مع المدرسين والفنانين المتطوعين والمنظمات الشريكة.

13 إضفاء الحيوية على الفضاء الجديد

يجب أن نعلم أن النشاط الفني مع الأطفال ليس تنشيطا وأن ورشات العمل يجب أن تسير بمنهجية وبيداغوجيا يقررها مسير الورشة وهي مبنية على أهداف واضحة مثل تعزيز الثقة بالنفس لدى الأطفال، والعمل الجماعي، والتواصل أو أيضا إدارة الفضاء الذي نتقاسمه مع الآخرين. إنه من المهم أن تتم الأنشطة الفنية في فضاء غير معد للتعلم بالنسبة للأطفال، فضاء «قسمي الأحلى» سيكون أفضل من قاعة درس عادية لتنفيذ هذه الأنشطة مما يسمح للطفل بالتأقلم مع الفضاء.

14 تحديد الجهات الفاعلة

تتمثل الفكرة في أن طلبة جامعات الفنون في إطار تدريبهم ومشاريع تخرجهم أو أطروحاتهم ينشطون بشكل فردي أو ثنائي ورشات عمل فنية في المدارس الابتدائية العمومية في المناطق المهمشة من خلال اتفاقيات بين المؤسسات، وهذا سيجعل من الممكن تحقيق لهؤلاء الطلبة التأهيل والتعلم (اكتساب الخبرة - الاحتراف - الترابط بين الأجيال - ممارسة فنهم وتمريره للأطفال - المشاركة في مشروع جماعي وملموس مع مختلف أصحاب المهن).

يشرف على هؤلاء الطلبة أساتذتهم ويرافقهم في ورشات العمل معلم واحد على الأقل من المدرسة ويتم إشراك الإطار التربوي لضمان استدامة المشروع.

وفي حالة عدم وجود جامعة فنون بالقرب من المدرسة الابتدائية، يمكن أن يشرف على الورشات فنانون اعتادوا العمل مع أطفال على أساس طوعي كجزء من مشاريعهم أو إقاماتهم الفنية، أو خبراء بيداغوجية، أو أساتذة جامعات فنون متقاعدون، أو جمعيات تعمل في هذا المجال.

15 تقديم ممارسة فنية

يعتمد تنفيذ الأنشطة في المدارس الى حد كبير على المتدخلين المعنيين حتى لو كانت الاتفاقيات تحدد التزامات كل واحد منهم. وعلى سبيل المثال بما أن الموظفين يغيرون غالبا مناصبهم فهذا يمنع المتابعة المستمرة ويتطلب الأمر إعادة شرح الإجراءات بانتظام.

يعتمد نجاح الأنشطة أيضا على تفاعل إدارة المدرسة وفريق التدريس بها، وبما أن المتدخلين في المدارس كلهم متطوعون فمن الضروري تخصيص الميزانية للأنشطة والأدوات ولمجات الأطفال، وإذا كانت المدرسة بعيدة عن مركز اقامة الطلبة فإنه من الضروري تغطية نفقات الطلبة المتطوعين المتعلقة بتكاليف التنقل. ومن المهم أن نرى دائما أن مفتاح المشروع هو نقل قيم الدراية والمشاركة والتبادل في كنف الاحترام، ولا يتعلق الأمر بالتعليم بمفهومه الصارم، ولكن بتمكين الطفل من أدوات للتعبير.

التوصيات

إذا كان مشروع «قسمي الأحلى» يحفز الصحوة الفنية للأطفال، فإنه أيضا يسمح لهم بالشعور بمكانتهم لأنهم يشاركون في تغيير الفضاء، وهذا يشجعهم على العمل معا وعلى ومناقشة أفكارهم والتفاوض بشأن مشروع ويقودهم الى النظر إلى البيئة المدرسية بشكل مختلف.

تتيح ورشات العمل إضفاء معنى للمدرسة، لا من خلال اعتبارها مكانا للتعليم فحسب، ولكن أيضا مكانا للتنشئة الاجتماعية،من خلال مقابلة العديد من المحاورين (طلبة الفنون وأساتذتهم، والمنظمات الشريكة خلال ورشات عمل المواطنة والمتدخلين وغيرهم) ينفتح الأطفال على العالم ويتعلمون التفاعل مع مختلف الأشخاص، الممارسة الفنية تسمح لهم أخيرا بتقليص العنف وذلك من خلال منحهم فضاءات للتعبير، كما يتبنى الأولياء أيضا نظرة جديدة للمدرسة ويصبحون أكثر اهتماما بما ينجزه أبناؤهم. وانخراطهم هذا يمكن غالبا من نزع فتيل التوترات التي قد تكون موجودة بين الأولياء والمدرسين من خلال جعلهم ينخرطون في مشروع مشترك لتحسين الحياة في الحي والأجيال الشابة.

يكتشف طلبة جامعات الهندسة المعمارية والفنون الجميلة والفنون والحرف مناهج عمل جديدة ويدخلون فعليا في الممارسة والتي غالبا ما تكون منعدمة في مسيرتهم الجامعية. كما يهدف المشروع أيضا الى تعزيز عمل الحرفيين الذين سعدوا بالمشاركة في مشروع جماعي يساهم في خلق ديناميكية في الاقتصاد المحلي، وتساهم ورشات العمل الفنية في المدارس بشكل كبير في دمقرطة الفن وتحسين الممارسات الفنية من خلال إشراك الأطفال وأوليائهم والإطار التعليمي. وأخيرا يتم مرافقة المعلمين وتشجيعهم للتدرب على إعداد أنشطة توقظ الحس الفني، وهو حجة إضافية ليحظى المشروع بالدعم لدى سلطة الإشراف ووزارتي التربية والتعليم العالي والبحث العلمي من أجل وضع برامج للتعبير الفني في المدارس الابتدائية العمومية.

تفاصيل ركن القراءة والفنون التشكيلية في مدرسة شاكر 1 منزل بورقيبة، «قسمي الأحلى» 2019.

ورشة عمل في التربية الموسيقية مع طلبة المعهد العالي للموسيقى بتونس في مدرسة عبد العزيز لصرم، مدينة تونس 2016.

قسمي

9 مدارس
4 ولايات

4 معاهد هندسة معمارية و تصميم
100 طالب
25 استاذ

3000 طفل
200 مدرس
9 مديرين

30 حرفي محلي
10 شركات مقاولة

الأحلى!

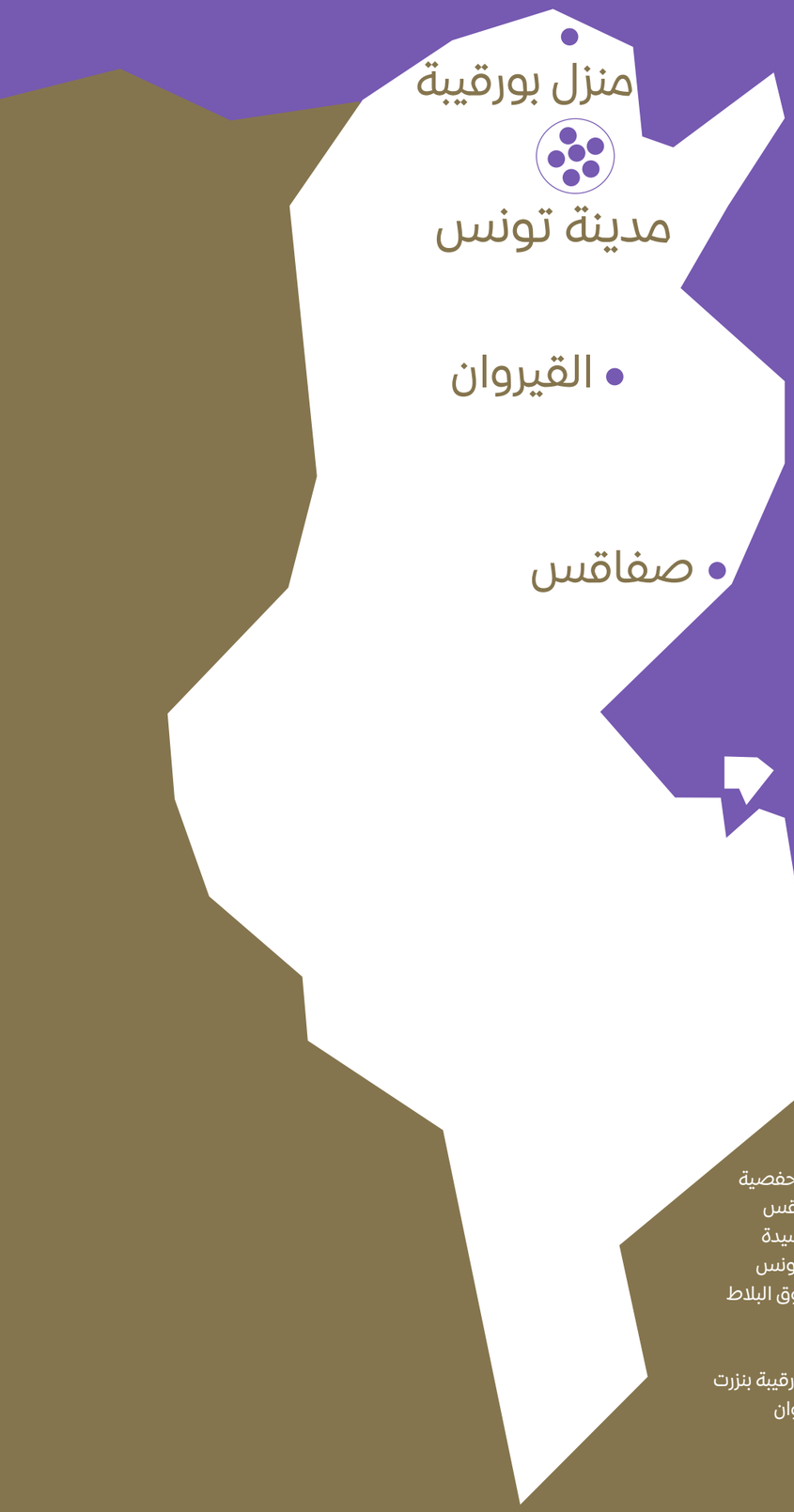

الرسم البياني الأساسي
الأقسام التي قامت جمعية
«الشارع فن» بتغييرها
بين 2012 و 2020

2012 المدرسة الإبتدائية حكيم كسار الحفصية
2012 المدرسة الإبتدائية العباسية صفاقس
2015 المدرسة الإبتدائية حي هلال 2 السيدة
2015 المدرسة الإبتدائية معقل الزعيم تونس
2016 المدرسة الابتدائية كتاب الوزير سوق البلاط
2017 المدرسة الإبتدائية باب سويقة
2018 المدرسة الإبتدائية نهج المر
2019 المدرسة الابتدائية شاكر1 منزل بورقيبة بنزرت
2019 المدرسة الإبتدائية حي النور القيروان

«قسم الأكل» في مدرسة شاكر ا، منزل بورقيبة، 2019.

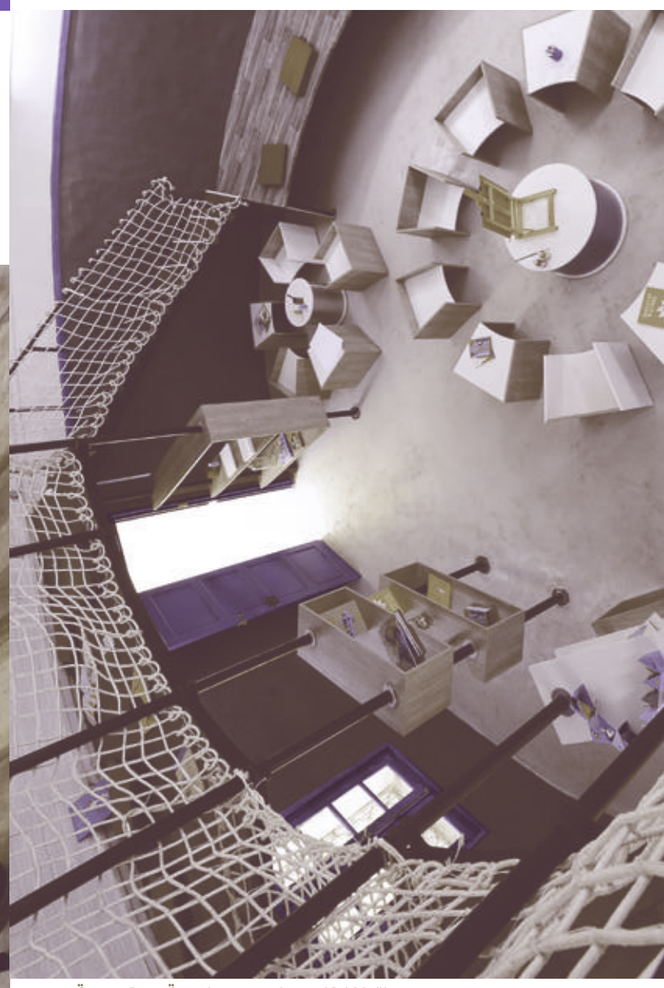

ورشة الاكلان بالشراكة مع جمعية MAWAdA في مدرسة نهج المر، مدينة تونس، 2017.

«قسم الأكل» في مدرسة بئر السوينة، مدينة تونس، 2017.

فضاء لمناقشة والاستماع لرغبات الأطفال في مدرسة عبد العزيز لصرم المعروفة باسم كتاب لوزير، مدينة تونس، «قسم الأكل» 2016.

تفكيك العنف عن طريق الفن مُقاربة علم النفس

يقوم هذا التقرير التأليفي[1] لبرنامج تفكيك العنف عن طريق الفن الذي وضعته جمعية «الشارع فن» في الفترة الممتدة ما بين عامي 2017 و2020 بتحليل اللقاءات والتبادلات التي أجريت خلال هذه الفترة مع الأطفال، الأولياء ومُعلمِي المدارس الابتدائية في كل من باب سويقة ونهج المر بمدينة تونس والتي تندرج في إطار البرنامج المذكور. قامت حلقات النقاش بالتفكير في المواضيع المتعلقة بالعنف لفهم مصدره وتعديل انعكاساته، وترأس هذه المجموعات أطباء نفسيّون من مُختلف التخصُصات (علم النفس العصبي، علم النفس السريري، علم الأمراض النفسية وعلم النفس التربوي...) بمعيّة أخصّائيين نفسيين للأطفال تولوا مهمة تشجيع الأشخاص المُحيطين بالطفل على مراعاة جانبه النفسي بغية تعزيز استقلاله الذاتي وتنمية شخصيته.

التمشّي والمنهجية

في البداية، أجريت مرحلة تصميم المشروع وتحديد الجهات الفاعلة وأدوات العمل في عام 2017 تلتها مرحلة المُراقبة ومرحلة التنفيذ التي استمرت لغاية شهر نوفمبر 2020. أتاحت هذه المراحل المختلفة الوصول إلى تحليل النتائج الكمية والنوعية والقيام بالدعوة لتهيئة بيئة مدرسية أفضل تسلّط الضوء على دور الأنشطة الفنية في ضمان السلامة النفسية للأطفال.

أ. الإطار

أجرِيت اللقاءات مع الأطفال في القاعات الفنية التي قامت جمعية «الشارع فن» بإنشائها داخل مدرستين في إطار مشروع قسمي الأحلى، كما عمِل أطباء نفسيون من اجل أن يضمن الإطار مُشاركة أفضل لمُختلف المجموعات ولتسيير اللقاءات معهم على النحو الأمثل. في الواقع، تُمثل إقامة صلة مع الأطفال أساس العمل المقرّر، حول الروابط القائمة بين الطفل والأطراف الفاعلة الأخرى في المشروع، مِن مُعلمين وأولياء وأولئك الذين يسمون «مُمثلي القانون»، الى جانب اللقاءات الدورية مع هؤلاء الأطفال من خلال مجموعات التعبير الشفوي والتعبير بواسطة الفن التي تُعتبر ضرورية من أجل تحديد الإطار وإقامة معايير دائمة وثابتة.

ب. القواعد والميثاق

تُعد قواعد العمل التي تنظم جميع الورشات مع الأطفال والأولياء والمعلمين والمعلّمات من الأمور الأساسية، فمن الضروري تخصيص وقت لتوضيح أهمية مفهوم الوقت وحضور المُشاركين، من أجل ضمان حُسن سير العمل بما يتيح للأطفال استيعاب القواعد والحدود التي يفتقرها البعض منهم، إذ يُبدي بعض الأطفال سلوكيات تنم عن المُعارضة والاستفزاز. اضافةً الى ذلك، ساهم الأطفال في عملية صياغة ميثاق ثقة تربوي خلال اللقاء الأول بهدف تحفيزهم وإشراكهم وإدماجهم في اللقاءات المُقبلة، كما ساعد هذا الميثاق على حسن إدارة المجموعة بصفة عامة الى جانب إرساء علاقة تعليمية إيجابية والتخفيف من النزاعات، إذ تتيح عملية صياغة الميثاق للأطفال فرصة التعبير بالكلمات وتبادل الخبرات المُكتسبة وتحديد مواقفهم تجاه مجموعة من القواعد وذلك باستخدام التعبير بواسطة الكتابة.

خلال كل ورشة وفي مواجهة تصرفات عدوانية، ساعد التذكير بأهمية احترام الإطار الزمني والاستمرارية الزمنية للقاءات، من خلال «التكرار»، الأطفال على إدراك الوقت المُتاح لهم، ومكّنت عملية صياغة هذا الميثاق التلاميذ من النظر من زاوية مُختلفة الى موضوع

[1] يُتاح هذا التقرير التأليفي الكامل لمشروع تفكيك العنف عن طريق الفن الذي أعدته أخصّائية علم النفس السريري سهى اليعقوبي على الموقع التالي: www.lartrue.org

العمل في إطار نشاط التعرّف على المشاعر مع أطفال مدرسة باب سويقة، المدينة، تونس 2020.

ورشة الدمى المتحرّكة في مدرسة باب سويقة، المدينة، تونس 2019.

القواعد والحدود وذلك في إطار قائم على الثقة، الأمر الذي يتطلب وساطة هامة من أجل مُعالجة مسألة العنف لدى الأطفال. أثناء صياغة الميثاق، طُلب من الأطفال تقديم مقترحات لعقاب أولئك الذين لم يلتزموا بقواعد ورشة العمل، فاقترح أغلب الأطفال وسائل العقاب المقتصرة على العنف (العنف اللفظي والجسدي، الحرمان، الإقصاء أو حتى العقاب البدني). أدى وجود هذا الكم الهائل من العنف المُشبع بالإنكار والتقليل من الأهمية والاستخفاف إلى التفكير في النماذج التي يحتذى بها هؤلاء الأطفال والتصورات المُتعلقة بالعنف لديهم، مما أتاح فرصة التوضيح للأطفال بأنه يمكن تسليط عقوبات دون اللجوء الى العنف وذلك من خلال وسائل العقاب البناءة. تم اقتراح أسلوب الإنذار باستخدام البالونات، إذ يمثل البالون الأول ذو اللون الأصفر تعبيرات وجه الشخص المُستاء أو الغاضب قليلاً، في حين يُعبر البالون الثاني ذو اللون الأحمر عن درجة أعلى من الغضب.

تفعيل أسلوب الإنذار بعد ذلك، شُرح للأطفال أن حصول أحدهم على واحدة من هذه البالونات لا يعني أن هذا الأخير شخص سيئ، انما يعود السبب لكونه تصرف بشكل غير لائق وبما يتعارض مع الميثاق، إذ من المهم تشجيع الطفل المعاقَب من خلال الحوار والتواصل. بالإضافة الى ذلك، تم التطرق أثناء صياغة الميثاق الى المفاهيم المُتعلقة بأساليب تثمين الطفل وتعزيزه الإيجابي إلى جانب توعيته بروح التعاطف.

اللقاءات

أ. مع الأطفال

كان الهدف الرئيسي للمرحلة المبنيّة على الملاحظة فهم ووصف سلوكيات الطفل وعواطفه، سواء في شموليتها أو في تفردها، وقد أتاحت هذه الملاحظات توجيه التدخلات من خلال تحديد احتياجات الأطفال مع مراعاة أفعالهم وتطوراتهم خلال مجموعات التعبير.

1. مجموعات التعبير

ترتكز مجموعات التعبير على العطف والتعاطف، وتُبنى على الإستماع والتعبير عن المشاعر والاحتياجات التي تسمح لكل مشارك بالتفكير في تصرفاته والإبقاء على حوار مفتوح في سياق شخصي و/أو مهني.
في إطار اللقاءات مع الأطفال، تم وضع أدوات من أجل التعبير بواسطة الفن، إذ لا يتقن الطفل دائمًا اللغة في شكلها المجرد من أجل التعبير عما يشعر به، لذلك، قمنا بتنظيم أنشطة للتعبير بواسطة الفن تتمحور حول الرسم، سرد القصص، لعب الأدوار وأنشطة تشكيل معجون الصلصال...

2. ممارسة الأنشطة الفنية مع الأطفال

الفسيفساء

مكنت ورشة الفسيفساء الأطفال من إنتاج نُسخ وإعادة البناء، إذ تنطوي الفسيفساء على غرض علاجي مما يعني بأن النشاط المتمثّل في بناء/ إعادة بناء رسم حر يدويًّا يهدف إلى احداث عملية تحول على الصعيد الغريزي، مما يتيح للأطفال إمكانية ادراج عنصر التفكيك من أجل البناء بشكل أفضل، كما يحفّز هذا النشاط خيال الأطفال اعتمادًا على الإبداع. لتعزيز العمل الجماعي، تولى الأطفال إنجاز المهمة في مجموعات ثُنائية وقاموا بإيلاء الاهتمام والطاقة وادراج فكرة المشاركة وإعادة البناء التدريجي.

الرسم

يقوم الطفل عن طريق الرسم بالتعبير عن قلقه ومخاوفه ورضاه من خلال إعطاء مضمون لرسمه وادراجه ضمن واقعه مما يكشف غالبًا عن الواقع الاجتماعي والعاطفي الذي ينشأ فيه.
تم اعتماد هذا النشاط في القضايا التي تم تناولها مثل العنف داخل المدرسة واحترام الجسد والذات مما ساعد الأطفال على التعبير عن مشاعرهم من خلال الرموز. سلطت هذه الجلسات الضوء على مبدأ الإشراك وتبادل المساعدة والتركيز، لكنها أبرزت أيضًا ضعف الاستثمار في النشاط (صعوبات الانتباه، الاستفزازات، العنف اللفظي، عدم الاستقرار النفسي والحركي...)
كانت الرسومات إما حرة أو تتمحور حول مواضيع معيّنة مثل الرسم العائلي (الحقيقي أو الخيالي) والذي تم اختياره من أجل الحصول على معلومات حول الصورة التي يحملها الطفل عن ديناميكية الأسرة ومكانته داخلها مما ساعد على تحديد الآليات المرتبطة بالإسقاط، نوع الارتباط ودور الطفل داخل عائلته، إذ كشفت النتيجة عن مختلف البيئات الأسرية. تندرج الأهداف التي تم تحديدها خلال هذا الوقت في محور مشروع تفكيك العنف عن طريق الفن، حيث مكّنت هذه الوساطة من تقييم جودة الروابط والتواصل والطريقة التي يبني بها الأطفال واقعهم استنادًا على علاقاتهم الأسرية.

اللّعب

يعتبر اللّعِب أسلوب التعبير الطبيعي المفضل لدى الأطفال، إذ يساعد تدريجيا على إضفاء الطابع الاجتماعي على سلوكياتهم ويُمكّننا من رؤية كيفية تواصل الأطفال مع بعضهم البعض مما يفتح مجالًا للمُرافقة والإشراف والتأطير المُستمر في علاقة بمكاسب التواصل الاجتماعي. على سبيل المثال، تهدف لعبة الكراسي الموسيقية إلى معرفة كيف سيتعامل الطفل مع مشاعر الإحباط إزاء الخسارة وبالتالي التحكم في غضبه، كما تتيح هذه اللعبة للأطفال الضحك معًا من خلال تعزيز التماسك داخل المجموعة، إذ تركز على المتعة والمشاركة أكثر من تركيزها على الجهد والمنافسة، وتساهم بالتالي في تطوير ديناميكيات المجموعة.
يمكن أن تكون لعبة الأدوار صعبة للغاية ومُسلية في آن واحد مما يترك مساحة كبيرة للخيال وقدرًا معينًا من العفوية باعتبارها تُوفر إمكانية عكس الأماكن والأدوار، إذ يُعتَبر وضع الشخص نفسَه

مَكان الآخرِ خلال المُمارسة الفعلية مفيدًا في العلاقات الاجتماعية ومن أجل فهم الاختلاف.

البَستنة والديكور

تتمثل في ورشات عمل لتزيين الأواني والبستنة، إذ يتيح هذا النشاط المُمتع العمل على توعية التلاميذ حول البيئة، العمل اليدوي، الإبداع، الصبر والاستقلالية كما يخلق لحظات من المشاركة والتبادل مما يسهّل تفكيك العدوانية. بالإضافة إلى ذلك، فإن الاستثمار في مساحة مشتركة يعزز التبادل التلقائي بين الأطفال فيما يتعلق بمعاناتهم أو الصعوبات الشخصية التي تواجههم، وفي هذا السياق، تقوم البستنة بالتحفيز: الجسدي والعقلي والعلائقي. يساعد هذا النشاط أيضًا على فهم دورة الحياة وغرس قيم مُعينة مثل احترام الطبيعة والصبر، وتكمن أهميته، في إطار تفكيك العنف، في إبراز أهمية احترام الطفل للبيئة وإقامة علاقة مماثلة مع البيئة المدرسية.

سرد القصص

تَتمثل خاصيّة سرد القصص في أنه «من خلال نقل الطفل إلى مكان آخر رائع فإنه يحافظ على التجربة الإنسانية وينقلها ويُحدثنا عن الولادة والموت، الرجل والمرأة، الرغبة والتنافس، سر الأصول وما الى ذلك».

ساعدت قصّة باللغة العربية بعنوان: «محيطنا الجميل» (مروة بن منصور، طبعة حكايات مسراتي) على سد الفجوة بين تفكيك العنف داخل المدرسة وتدمير الممتلكات من خلال إبراز أساسيات الحياة المُجتمعية.

3. التعرف على العواطف وإدارتها

يجمع الجدول أدناه مُختلف المشاعر، ويَتبيّن من إجابات الأطفال وجود خلل في تحديد التعبيرات العاطفية إذ لم يتمكنوا من فك رموز المشاعر ودرجات الغضب المختلفة وقاموا بإبداء رؤية ثنائية للأشياء: جيد - سيئ، في حين اتّسمت اجاباتهم بإطلاق الأحكام والافتقار الى التعاطف مما يمكن أن يفسر استخدامهم للعنف الجسدي أو المعنوي كأداة للتواصل والتعبير العاطفي.

ب. مع الأولياء

تهدف مجموعات النقاش مع الأولياء الى تشجيع التبادل والتواصل بين أولياء الأمور بشأن المواضيع المتعلقة بدور الوالدَين، العنف، إعادة التفكير في العلاقة مع الآخرين والعلاقة مع المدرسة الى جانب تحفيز الوالدَين وتنمية مهاراتهم باعتبارهم أول المربين لأطفالهم، مما يساعد على زيادة فهم المُحيط الأسري للطفل.

	إجابات التلاميذ	الحاجة التي عبر عنها التلاميذ
السعادة	«يضحك»؛ «فرحان خاطر شراولو حاجة»؛ «شايخ»؛ «مسرور»؛ «سعيد»؛ «ولادة بنت خالتي فرحتني برشا»؛ «فرحت برشا اللي ولّى عندي خو»؛ «كي نجحت بابا شرالي قطوسة»؛ «وجود أمّي يفرّحني برشا»؛ «كيف نجحت بابا شرالي تاليفون»	التثمين؛ الارتقاء الى مستوى توقعات الوالدين: «نكون في المستوى»؛ «نشيخ»
المفاجأة	«مصدوم»؛ «مستغرب»؛ «باهت»؛ «خايف»	لم يتم التعبير بطريقة عفوية عن أي احتياج.
الغضب	«يغزل»؛ «وجهو أحمر»؛ «منرفز»	ينتقم؛ الحفاظ على الكرامة
الخوف	«متغشش»؛ «غاضب»؛ «عصبي»؛ «فكولو فلوسو»؛ «مشوش»؛ «منرفز على صحابو ضحكو عليه»؛ «يهدد عمل عرك فالحومة»	اثارة الشفقة والهروب من الخطر الشعور بالأمان؛ «ننتقم»؛ «نرجع قدري»
الاشمئزاز	«يحس بالرعب»؛ «فمّا شكون هدّدو»؛ «حزين»؛ «كلا حاجة مقرفة»؛ «باش يرد خاترو مرض»؛ «نسخفو يسيبني»؛ «إلي يخاف يلزم يهرب»	لم يتم التعبير بطريقة عفوية عن أي احتياج.
الحزن	«يبكي»؛ «تحزن كي يموت لك حد في العائلة»	الحاجة إلى التنفيس عن المشاعر: «يفرغ قلبوا»

تحليل الممارسات المهنية مع المعلمين والمعلّمات من مدرسة نهج المر، المدينة، تونس 2020.

مجموعة تعبير مع أطفال مدرسة نهج المر في إطار الورشة الخاصّة بالطبخ، المدينة، تونس 2020.

العمل في إطار نشاط التعرّف على المشاعر مع أطفال مدرسة باب سويقة، المدينة، تونس 2020.

ورشة الدمى المتحرّكة في مدرسة باب سويقة، المدينة، تونس 2019.

ج. مع المُعلمين والمعلّمات

لضمان بيئة مدرسية سليمة ومناسبة من أجل التعلُّم، يوصى بشدة بأن يتم تحليل الممارسات المهنية والتفكير في المشاعر داخل الوسط التربوي. بالإضافة الى ذلك، يساعد العمل، شفويا أو على نحو جماعي، على تحديد وتحليل الخبرات المهنية مع الزملاء والخُبراء التربويين عبر دراسة الحالة أو المواقف الحقيقية التي يواجهها المعلمون المشاركون، الى جانب خلق مساحة للتبادل والتعاون وتزويد المعلمين والمعلّمات بالآليات العمليّة التي تسمح بإنشاء تصورات جديدة حول الممارسات والمواقف.

الملاحظات

أ. مجموعات التعبير مع الأطفال

1. تحديد مفهوم العنف

استعانت الوسيطات بالرسم من أجل تحديد تصوّر للعنف، إذ تدل أغلب الرسوم على ميل الأطفال إما لتجنب التطرق الى الموضوع من خلال الإبلاغ عن مشهد آخر يرتبط بهم بشكل وثيق عمومًا، أو من خلال ابراز اللاعُنف من خلال تصوير العلاقات الودية، الأخوية، الأبوية والخالية تقريبًا من أي مظهر من مظاهر العنف. بالإضافة إلى ذلك، تُشير الرسومات الى أن الطفل يسعى إلى تمثيل نفسه من زاوية ملائمة ووفقًا للتوقعات الاجتماعية توقعات البالغين.

2. المَنع والكبت

يؤدي منع الطفل بشكل أساسي إلى تقليل قدرته على التمثيل والتخيّل واللّعِب، في الواقع، تمكن الأطفال خلال لعِب الأدوار من اختيار دور كل ممثل والارتجال، لكنهم عجزوا عن التعبير وتطوير مشهد مسرحي كامل. بالنسبة الى البعض، يقتصر لعب الدور على التعبير عن خيار ما لفضيًّا، على سبيل المثال «سأقوم بدور الأم» في حين يعجزون عن تخيّل قصة كاملة. إضافةً الى ذلك، يحتاج الأطفال إلى مساعدة في وصف لعبة الأدوار المختارة بالكلمات، إذ لاحظنا حالة من الكبت لدى بعض الأطفال عند الحديث، الايماء والتعبير بالوجه، حيث تم رصد الكبت اللفظي والتحفّظ خلال جميع ورشات العمل تقريبًا إذ كان غالبية الأطفال يخجلون من إخبارنا بتجاربهم الاستثنائية.

3. تجليات العُنف

الإحباط

يدل الإحباط العاطفي الذي يبديه الأطفال على أنه لم يتم تلبية أحد احتياجاتهم، في الواقع، عندما يكون الشخص محبطًا عاطفيًا، يقوم جسمه بإنتاج طاقة تتناسب مع هذا الإحباط، إلا أنه ينبغي توجيه هذه الطاقة العدوانية إلى حل المشاكل. في المُقابل، يبدو أن هذه القناة لم يتم إنشاؤها عند هؤلاء الأطفال مما أدى الى هيمنة سوء التحكم في الغضب المؤدي الى السلوك العنيف. خلال مجموعات التعبير، طُرحت على الاطفال مجموعة من الأسئلة المفتوحة والغير توجيهية حول طبيعة سلوكهم في المدرسة ليتحول الحديث لاحقًا من سياق المدرسة إلى سياق الأسرة، كما تضمنت الإجابات الواردة كمًّا هائلًا من العنف. شملت مجموعة المناقشة أطفالًا شهدوا أحد أشكال العنف خارج الإطار المدرسي، إذ تعكس إجاباتهم العنف المعنوي والجسدي الذي يكشف طبيعة البيئة التي نشأوا مُعتادين عليها، لذلك، كان من الضروري أن نشرح للأطفال أن التواصل هو السبيل الوحيد للخروج من هذه البيئة، الى جانب أهمية الاعتذار في حال تصرف الشخص بشكل غير لائق. من ناحية أخرى، أبدى الأطفال صعوبة في تحديد حالاتهم العاطفية والتعبير عنها مع عدم القدرة على الربط بين عواطفهم وأفكارهم وما يجول في خاطرهم.

الاضطراب، فرط الحركة والعنف

من الضروري التمييز بين الاضطراب الطبيعي وفرط النشاط والعنف. الاضطراب الطبيعي يختلف عن الاضطراب المرَضي الذي يُعتبر اضطراب سلوكي نتيجة لطول مُدّته، شدّته، طبيعته الغير قابلة للتكيف وتأثيره على حياة الطفل ومحيطه. يُعرَّف الطفل مفرط النشاط على أنه الطفل الذي يزداد نشاطه الحركي الغير مُنتظم والمُصاحب بالاندفاع وردود الفعل العنيفة الى جانب الاضطراب في الانتباه مما يعطل كفاءته الأكاديمية. فيما يتعلق بالعنف، فقد أبلغ معظم الأطفال عن سلوك عدواني داخل الأسرة من طرف الوالدين والأشقاء (العنف الجسدي باستخدام أدوات مختلفة: حزام، مكنسة، حذاء...) علاوة على ذلك، ظهر السلوك العدواني بصورة غير مباشرة أثناء اختيار الأدوار ومواضيع المسرحيات، على سبيل المثال: اللص ومشهد السطو باستخدام سكين وما الى ذلك، في حين واجه الأطفال صعوبة في السيطرة على أنفسهم. أفاد بعض الأطفال بأن التعرض للضرب يثير الرغبة في ضرب الشخص الآخر في المُقابل، إضافةً الى ذلك، يوجد رابط بين العدوانية وقلة الشعور بالمشاركة. يمكن أن يرجع اضطراب الأطفال كذلك الى كثرة عددهم. وبالتالي، يمكن أن يكون الطفل «مضطربًا» أو «مفرط النشاط» وغير عنيف والعكس صحيح.

سعد الأطفال باستئناف ورشات العمل التي طالما اعتبروها لحظات من البهجة والمشاركة.

4. الفشل في التعبير العاطفي

قام الأطفال بتحديد المشاعر الأساسية الستة التي سبق أن عملنا عليها (انظر الجدول) وتمكنوا من التعرف على مشاعرهم شيئًا فشيء ولكن لم يتمكنوا بعد من التعبير عنها بشكل صحيح، الى جانب أنهم قاموا بالخلط بين مشاعر «المفاجأة» و «الغضب» وبين «الحزن» و «الاشمئزاز».

خلال ورشات العمل، قام الأطفال بالتفكير في العواطف وكيفية التعامل معها، ليتوصلوا أخيرًا إلى عمل ذهني قائم على أسئلة من قبيل؛ ما هو الشعور الذي يعتريك أثناء جدال مع والديك / أشقائك / أصدقائك؟ كيف تحاول التحكم في عواطفك في التعامل مع الموقف؟.

مجموعة تعبير مع أطفال مدرسة باب سويقة في إطار الورشة الخاصّة بالفنون التشكيلية، المدينة، تونس 2020.

ورشة خاصّة بالزراعة المستدامة في مدرسة عبد العزيز لصرم، المعروفة باسم كتّاب لوزير، المدينة، تونس 2017.

ورشة خاصّة بالفنون التشكيلية بمدرسة عبد العزيز لصرم، المعروفة باسم كتّاب لوزير، المدينة، تونس 2020.

تفاصيل الورشة الخاصّة بالفنون التشكيلية في مدرسة باب سويقة، المدينة، تونس 2019.

ففي حين يواجه بعض الأطفال صعوبة في التحكم في عواطفهم (مثل الغضب) ويُظهرون ردود فعل عاطفية مُفرطة، يعاني أطفال آخرون من فرط العاطفة والحساسية الزائدة ويجدون صعوبة في إيجاد التوازن العاطفي.

5. الغضب والسلوك المُدمِّر

لوحظ من خلال الشهادات التي قدمها الأطفال أن ردّات فعلهم تختلف عندما يشعرون «بالغضب»، ففي حين ينصرف البعض تلقائيًا الى التصرف بعنف ويندفعو للرد، يحتضن آخرون هذا الشعور السيئ داخلهم، بالإضافة الى ذلك، فإن توفير مساحة آمنة للأطفال من أجل التعبير عن تجاربهم والاشارة الى الأحاسيس التي مروا بها خلال هذا الموقف يُمكّنهم من التراجع عن أسلوب تعبيرهم الخاطئ.

6. الخلط بين الأبعاد المُختلفة للغضب

العاطفة والعنف

خلال ورشة العمل المخصّصة للتعرف على المشاعر التي تُحيط بالغضب، لوحظ وجود خلط بين الأبعاد المختلفة للغضب لدى جميع الأطفال، فبعد التفكير في العلاقة بين العنف والعاطفة، أفاد الأطفال بأنه لا يوجد رابط بين هذين المفهومين كما لم يتمكنوا من شرح الحالات النفسيّة للأطفال الآخرين. تم التوضيح للأطفال بأن العنف يمكن أن ينجم عن مشاعر «الغضب» ذلك أن إقامة علاقة بين العاطفة والعنف تساعدهم على تقليل الاندفاع والعدوانية وتغيير طريقة التعبير التي تضر بالآخر.

انعدام التعاطف

تحدث التلاميذ عن تجاربهم مع العنف في مُحاولة لتحليلها من أجل استيعابها بشكل أفضل، مما سمح لهم «بنزع صفة الشيطانية» عن أحاسيسهم واعتبار رفاقهم أشخاصًا مختلفين يمكنهم مُواجهة نفس المشاعر مثلهم، وبالتالي تكييف سلوكهم وردود أفعالهم وفقًا لهذه المُعطيات الجديدة، ذلك أن التعاطف يعمل على تقليل الاضطرابات السلوكية التي لوحظت عند بعض الأطفال. أبدى البعض من بين المشاركين لامبالاة تجاه آلام الآخرين، حتى أنهم قد وجدوا فيها مُتعةً ومدعاةً للضحك، في حين بدى البعض الآخر عديمي الإحساس في مواجهة المواقف الحزينة والتجارب المؤلمة، كما امتنعوا أيضًا عن القيام بمدح زملائهم في الفصل، ذلك أنهم يفتقرون الى القدرة على تقديم ملاحظات إيجابية للآخرين. هل يمكن أن يرتبط انعدام التعاطف بوجود بيئة تفتقر الى الدفء والاهتمام والترحيب؟ يمكن أن توجد أسباب أخرى تفسّر هذا الضعف في القدرة على التعاطف مثل فرط التعرض لوسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي التي يجتاحها العنف «الافتراضي».

7. الاشمئزاز والمُفاجأة :مشاعر يصعب تحديدها

خلال ورشة العمل المخصصة لوضع تصوّر لهذين الشعورين، لاحظنا أن تحديد مشاعر «الاشمئزاز» و «المفاجأة» عند الأطفال يتسم ببعض الغموض، إذ يميلون إلى دمج الإحساس بالمفاجأة والسعادة والاشمئزاز مع الشعور بالغضب ويعتبرون أنه من الطبيعي ربط العواطف بالظروف السياقية، بالتالي، فإن مفهوم الاشمئزاز لديهم يرتبط ثقافيًا بنوع معين من العنف.

8. العنف الذي يوجهه التلاميذ ضد المحيط المدرسي

أفاد المعلمون عن وجود أضرار لحقت بملكيّة المدرسة، لذلك، كان لا بد من أن ننقل رسالة للأطفال من خلال حكاية «محيطنا الجميل» حول مكانة المدرسة وأهمية احترام هذا الإطار، إذ تم التطرق الى هذه المسائل من خلال الشخصية المحوريّة للقصة من أجل إبراز أهمية النقد الذاتي لدى الطفل باستخدام آلية التماهي مع الشخصية الروائية. ينطوي التثقيف في مجال البيئة على مسائل جوهرية فيما يتعلق بتغيير سلوك الأطفال وترسيخ حسّ المواطنة فيهم، كما اتاحت ورشة العمل اكتساب معارف جديدة يقوم كل فرد بدمجها في العادات اليومية (جمع الأوراق، الحفاظ على نظافة دورات المياه، إلخ).

9. الشعور بالحيرة إزاء فترة المراهَقة

قام الاطفال بطرح هذا الموضوع بشكل عفوي، مما يعكس قلقهم إزاء هذه المرحلة من النمو، إذ تدل انتاجاتهم على إشكاليات تتعلق بالاطلاع على مرحلة المراهقة مثل الهوية واكتشاف النشاط الجنسي (مشاهدة الأفلام الإباحية) و التحولات الفيزيولوجية والرغبات. بالإضافة الى ذلك، أثيرت مخاوف بشأن التغيرات الفيزيولوجية، إذ ينظر الأطفال إلى المراهقة على أنها تعبير مُهين وغير معروف وبالتالي، تعكس هذه النظرة الاجتماعية خوف الوالدين الذي ينقله التلاميذ في علاقة بالطاعة والحاجة إلى تأكيد الذات.

10. المُطابقة والتقليد

قام الأطفال بمنح مُرتكِب العُنف سمات القوة، السعادة، القدرة المطلقة و «السادية»، وواجهوا صعوبة في وضع أنفسهم الى جانب الضحية، لذلك، تم اجراء نقاش معهم حول الألم، احترام الجسد، احترام الذات والآخرين الى جانب السلوك المحفوف بالمخاطر وعواقبه. تخلل خطاب الأطفال تحديد نماذج يُحتذى بها ومُثل عليا «سلبية» مثل الشخصيات المستوحاة من المسلسلات وألعاب الفيديو أو المجرمين في منطقتهم.

11. الأسرة : أيّ تمثّلات؟

أبدى الأطفال اهتماما كبيرا وبذلو جهدا لا يستهان به خلال قيامهم برسم رسوم حول العائلة. قامت الوسيطات بمرافقة الأطفال في التمشّي الذي اعتمدوه، من أجل التخفيف من مظاهر الإحباط والخوف من الفشل التي تصيب بعض الأطفال. على مستوى تفسير الرسوم، تشهد غالبية الرسوم على وجود اتجاه إما إلى تفادي التطرّق إلى موضوع العائلة برمّته أو رسمها في المقام الثاني. وبالتالي، وجدنا العائلة غائبة في بعض الرسومات، تاركة مكانها لمنظر طبيعي أو شارع أو منزل إلخ. ويخبرنا وجود الألوان عن العاطفيّة، والتي تكون أكثر دلالة عندما تزداد حدّة الألوان. ومع ذلك، فإن رسومات الأطفال رديئة من حيث التلوين، مما يدل على انخفاض العاطفة. بالإضافة إلى ذلك، فإن غياب الأيدي، أو حتى الأذرع، من شأنه أن يدلّ على النواقص العاطفيّة المرتبطة بالعائلة أو على الشعور بالذنب. بينما رسم بعض الأطفال عائلاتهم الفعلية، رسم معظم الأطفال شخصيات لا يعرفونها. يمكن أن ينشأ هذا عن مشكلة تحديد الهوية والبحث عن مرجعيّات في عائلة خيالية. عكست الرسومات أيضًا مشاعر القلق والخوف من الوحدة والانطوائيّة وأوجه مختلفة للحرمان الشعوري والعاطفي:

الحب والشعور بالذنب والغضب، إلخ، تكشف عن تضارب المشاعر تجاه الوالدين.

وبالتالي فإن السمات البارزة التي تظهر من الرسومات تمثّل مشكلة على مستوى الديناميكيات العائليّة. هذا هو المستوى الذي يكمن فيه دور مجموعات التعبير مع الأولياء. تنعكس أهمية توجيه الوالدين على طبيعة الرابطة التي سيتمكنون من إرسائها مع أطفالهم. بالإضافة إلى ذلك، يمكن تفسير الحرمان العاطفي بوجود نوع من الارتباط غير المستقر في العلاقات الشخصية وداخل العائلة. وهكذا، يصبح بعض الأطفال سريعًا متعلّقين بالوسيطات ويثقون فيهن على المستوى العاطفي، رغم فرض حدود للعلاقة وتأطيرها في كل مرة، إذ أن هؤلاء لا يمكنهم تحمل فقدان انتباههنّ ويبحثون عن الاتصال الجسدي. لذلك، بناءا على تقدير أن نهاية ورش العمل يمكن أن تسبّب اضطرابا لدى هؤلاء الأطفال، تم تخصيص ورشة عمل للمرطّبات قام خلالها الأطفال بإعداد كعكة كبيرة دون خبز للاحتفال بإنجازاتهم وتطورهم طوال هذا المشروع. سهلت ورشة العمل التشاركية الاحتفالية هذه الانفصال بين الأطفال والمنشّطات.

12. السلوك الاستفزازي والمعارض

يعطي الأطفال المعارضون هذا الشعور بالرغبة في السيطرة على العلاقة، وحتى السيطرة على الأشياء، كما لو أن إرضاءهم يكون غاية لا تدرك.

في الواقع، يُظهر بعض الأطفال، خلال ورشات العمل، سلوكًا معارضًا واستفزازيًا. يعارضون تعليمات المنشّطات. يُظهر أطفال آخرون سلوكيات عدائيّة وغاضبة مع فرط النشاط الحركي في محاولة لاستفزاز الآخرين. هل يمكن أن يكون هذا السلوك وسيلة لدى الأطفال لإظهار ذواتهم وفرض أنفسهم؟ في الواقع، إذا لم ينجح الطفل ووالداه في تأسيس رابطة ثقة متبادلة، فقد يتعلّم الطفل أن المعارضة تؤتي ثمارها. وبالتالي، خلال ورشات العمل مع الأولياء، يتم تشجيع هؤلاء على قضاء وقت إيجابي ومفيد مع أطفالهم كل يوم لمدة 20 إلى 30 دقيقة. من المهم أيضًا الاستثمار في الاتصال الجسدي، مثل العناق والقبلات.

13. اضطرابات السلوك عند الأطفال: الميل إلى السرقة

يميل بعض الأطفال إلى السرقة. خلال ورشة العمل الأولى، سرقوا الجل المعقّم الكحولي من رفاقهم وأحيانًا قاموا بأخذ المواد (الصلصال، الألوان المائيّة، ألعاب الورق) بعيدا عن الأنظار ووضعوها في جيوب مآزرهم. وقد قيل لهؤلاء الأطفال أنه يمنع عليهم أخذ أي شيء دون إذن من المنشّطتين. تم الحديث عن السرقة أيضًا كموضوع لمسرحية يختارها الأطفال بأنفسهم، اختارت مجموعة تقديم مشهد سرقة ومجموعة أخرى اختارت تقديم مشهد تحيّل. نتساءل، ما الذي يدفع الطفل للسرقة؟ وما مغزى هذا الفعل؟ السرقة والكذب والتدمير هي مظاهر لا يتم ملاحظتها فقط خلال ورشات العمل مع الأطفال، ولكن يقوم الأولياء أيضًا بالإبلاغ عنها خلال ورشات العمل المخصصة لهم.

14. الحجر الشامل والتجربة المؤلمة

في الواقع، خلال ورشة عمل مجموعة النقاش، تناوب الأطفال على إخبارنا بتجاربهم المختلفة أثناء الحجر الشامل، سواء كانت إيجابية أو سلبية. سمحت هذه الورشة للأطفال بتحرير أنفسهم من توترهم والتعبير عن المشاعر المختلفة التي يشعرون بها. أصبح هؤلاء يقلّلون من شأن أنفسهم ويطورون صورة سلبية عن ذواتهم. على سبيل المثال، أخبرنا بعض الأطفال أنهم غالبًا ما يظهرون ردود فعل فيزيولوجية عند المشاركة في الفصل (رجفان القلب وزيادة معدل ضرباته والتعرّق وما إلى ذلك). يشعرون بالقلق والخوف من المشاركة في الفصل، على الرغم من أنهم يعرفون الإجابة الصحيحة. ورغم هذا، كشفت اليات التنشيط المستخدمة عن تجربة إساءة شديدة تم إخفاؤها، ولكنها ظهرت أثناء النشاط العلاجي الخاص بالرسم. لوحظ قلق ضمني من الموت في رسومات معينة (رسم أجساد ممزقة وزومبي ورسم وحش كبير ورسومات تجريدية سوداء...). هذا يسلط الضوء على الدور الحاسم لآليات التنشيطيّة المستخدمة من أجل تأثيراتها العلاجيّة

ب. مجموعات النقاش مع الأولياء

تهتمّ الدراسة بتحليل التبادلات التي حصلت حول المواضيع التي تم تناولها خلال مجموعات النقاش مع الأولياء من مدرستين ابتدائيتين، باب سويقة ونهج المر. في الواقع، من أجل تفكيك العنف، يجب أن نأخذ في الاعتبار مواقف جميع الفاعلين الموجودين في البيئة التي يعيش بها الطفل.

1. عدم الاهتمام الأبوي: طوعي أم قسري؟

كانت الأمهات متناقضات في تفسيرهن غياب الآباء، في ضوء حضورهم المحتشم جدّا: بين توجيه اتهامات للآباء بالاستقالة من منصب الأب، وحقيقة الاعتراف بمسؤوليتهن لعدم ترك مساحة كافية للآباء من أجل التصرف. أفضى السؤال المتعلّق بغياب الآباء إلى التوصّل إلى الاستنتاجات التالية: تفشّي ازدواجية الأم الحنون والأب اللئيم الذي لا يتواجد إلا لتربية الطفل بعنف، ونقص الدعم العاطفي من الآباء، وهو ما يدفع الأطفال لتبني سلوكيات استفزازية من أجل جذب الانتباه والارتباك الحاصل بين الغياب الجسدي للأب وعدم الاضطلاع بوظيفة الأب.

2. نقص مهارات الأمومة العلائقيّة مع وجود مطالب نرجسية مدمرة

بالنسبة لبعض المشاركين، تعد العلاقات مع أطفالهم منقوصة ولا يعطون جميعًا نفس الأهمية لعناق الأم والتعبير العاطفي. يساهم هذا الموقف في نشأة قطيعة عاطفيّة لدى الطفل، والتي تتمثّل في غياب أشخاص له معهم ارتباط قويّ وغياب علاقات عاطفية مطمئنة مع من حوله.

3. الأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم: من طفل حقيقي إلى طفل خيالي

تقارن الأمهات بانتظام بين أطفالهن وأقرانهم وبين الإخوة والأخوات لتشجيع أطفالهن المتعثرين أو غير المطيعين. يولّد هذا الموقف عداوة ضمنيّة تجاه الأم وتجاه الأشخاص الذين يتم مقارنة الطفل بهم. وبالتالي، فإنّ هذا يؤثر سلبًا على العلاقات الاجتماعية والعائلية للطفل.

تفاصيل بلاطات السيراميك المصنوعة من رسومات أطفال مدرسة نهج المر قسمي الأحي، المدينة، تونس 2020.

مجموعة النقاش والتربية الأبويّة مع الأولياء من مدرسة نهج المر، المدينة، تونس 2020.

علاوة على ذلك، لا يتم إجراء هذه المقارنات بغرض تشجيع الطفل فحسب، بل يتم خلقها أيضًا من منطلق الرغبة في بثّ الحياة في الطفل المتخيل والمتوهّم ورفض قبول الطفل كما هو بخصوصياته وصعوباته. لذلك غالبًا ما يتم تنزيل الطفل في مكانة دونيّة واختزاله في مجرّد علامة يُملأ بها فراغ، وهو جرح نرجسي قديم في هذا الوالد المتطلب. سمحت المناقشات بإدراك الفرق بين الطفل الخيالي المثالي والطفل الحقيقي، خاصة عندما يواجه صعوبات.

4. عدم إيلاء أهمية للأنشطة الترفيهيّة

أثناء المناقشات مع الأولياء، وجدنا أنه غالبا ما يتمّ إهمال الوقت والوسائل المخصصة للأنشطة غير الدراسيّة على حساب الدعم المدرسي. يربط معظم الأولياء هذه الأنشطة بالمجتمع المحلّي، ويريدون حماية الأطفال من مخاطر المجتمع والشارع (صحبة السوء والمخدرات وانعدام الأمن وما إلى ذلك). في كثير من الأحيان، يفرض الأولياء قيودًا، أحيانًا يتمّ فرضها بالقوة، لإثناء الطفل عن مغادرة المنزل. يجب إذا على الأطفال الترفيه عن أنفسهم باستخدام الوسائل المتاحة في المنزل.

5. الشاشات: من معوقات التواصل

يتّجه الأطفال إلى مشاهدة الشاشات، نظرًا لعدم تطوّر الأنشطة الترفيهيّة بشكل كاف. تحدث الأولياء بشكل عفوي عن التأثير السيء للشاشات (التلفزيون والشبكات الاجتماعية) وعن مواجهتهم صعوبات في التحكم في استخدامها. حسب رأيهم، هذه بالأحرى «عادة» تزيد من الاضطرابات ومن فقدان التركيز في المدرسة. وهذا هو السبب الذي جعل التركيز في المناقشات يدور حول أهمية الحوار. تركّز الخلاصة على أهمية التحدث مع الطفل واعتباره إنسانًا كاملًا وعلى تشجيعه على إعطاء الثقة في نفسه وتقديره من خلال إدراك خصاله واحترام شخصيّته.

6. يواجه الأولياء تغيرات نفسية في مرحلة ما قبل المراهقة وخلال مرحلة المراهقة

يبدو أن الآباء والأمهات على حد سواء، في الوسط العائلي، يواجهون صعوبة في التعامل مع نوبات الغضب لدى أطفالهم والاستفزازات التي يقومون بها. يتحدث الأولياء ببؤس عن سلطة أفلتت منهم ودفعتهم ليصبحوا «أولياء تجاوزهم الزمن». لذلك، كان التفكير موجهًا إلى خصائص السلطة السليمة والخيّرة وذات المصداقية والعدالة. أعرب الأولياء عن قلقهم بشأن البلوغ المبكر. وبالفعل، أدى النقاش إلى التوصّل إلى ضرورة فرض حدود، مع الأخذ في الاعتبار حقيقة أن هؤلاء الأطفال هم بصدد النمو. ومن هنا جاءت الحاجة إلى عدم حرمانهم وعدم سجنهم في المنزل، ولكن يجب تمكينهم وتوعيتهم بالسلوك الذي يجب أن يتبنوه عند مواجهة موقف غير عادي.

7. الإسقاطات المتشائمة على المستقبل

تؤثر الإسقاطات السلبيّة للأولياء على المستقبل، والتي تغذيها حياتهم اليومية الشاقة التي يعيشونها كبالغين، على رؤية الأطفال للمستقبل. يولّد تحديد الهويّة هذا شعورًا بعدم الثقة والخوف تجاه الآخر. سيكون لهذه النظرة المتشائمة انعكاسات سلبية على النتائج المدرسيّة وستكون أحيانًا جوهر كل أنواع العنف ضد الأسرة والبيئة والمجتمع.

8. الأولياء والمتابعة المدرسيّة

يدرك الأولياء أنهم يبذلون جهودا كبيرة من أجل النجاح الدراسي لأطفالهم. وبالتالي يدفع العديد من الأولياء المال مقابل حصول أطفالهم على دروس دعم منزليّة أو على رعاية مدرسية من أجل تجنّب القيام بهذه المهمة، وذلك خوفًا من نشوب نزاعات. بشكل عام، يعوّل الأولياء على السرعة والكفاءة بدلاً من تعويلهم على عملية الفهم والأداء، ويصدرون بسرعة أحكامًا قيميّة ذاتيّة تتحول إلى لحظات من الإساءة اللفظية والجسدية. ومع ذلك، يعتبر إظهار الاهتمام بما يقوم به الأطفال من أعمال وتقديم دعم واضح لهم أمرًا ضروريًا لنجاح دراستهم.

9. العنف بين الوالدَين الذي يشهد عليه الأطفال

يميل الأطفال إلى تقليد مشاهد العنف الجسدي أو المعنوي التي شَهدوها، كما أشار الأولياء بشكل عفوي إلى ضرورة تفادي وجود الأطفال خلال شِجارات الوالدَين، إذ يُدرك البعض منهم أن أطفالهم ليسوا شهودًا فحسب، بل هم أيضًا ضحايا يعانون من عواقب نفسية كبيرة تنجرّ عن تواجدهم أثناء هذه المشاهد.

10. أساليب الوالدَين في العقاب

عادة ما يقوم الوالِدان بتسليط عقوبات عنيفة، ويولّد هذا التأديب الصارم صراعًا بين الأجيال في أغلب الأحيان. بالنسبة للوالدين، فإن أعمال العنف الجسدي التي يمارسونها على أطفالهم تُعد أفضل طريقة لتربيتهم على نحو جيّد، حيث يُعتبر العقاب البدني مثل الإذلال علنيًا أمرًا شائعًا، في حين تطلب بعض الأمهات العفو من الأبناء بعد ضربهم. تم التركيز خلال المناقشات على أهمية اعتماد أساليب أقل عنفًا لتنشئة الطفل ومن هنا تأتي أهمية الحوار.

11. العلاقة المُتضاربة بين الأولياء والمعلمين والمعلّمات

تعدُّ علاقة الوالدَين مع البيئة المدرسية مُتضاربة، إذ يقومو بإسقاط العلاقة بالِغة السُّوء التي شَهدوها في المدرسة من مُنطلق تجاربهم الشخصية على أطفالهم، مما يؤثر على موقف الأبناء تجاه المدرسة. غالبًا ما يتم إلقاء المسؤولية عن فشل الأطفال في المدرسة على ما يسميه الأولياء «انعدام المسؤولية لدى المعلمين والمعلّمات». بالإضافة إلى ذلك، تمت الإشارة بدرجة كبيرة إلى السلوك العدواني والعنف من المعلمين والمعلّمات.

ج. مع المعلمين والمعلّمات

1. إدارة عمليّة التّعليم والتعلُّم

خلال هذه المناقشة، عبَّر المشاركون عن الصعوبات التي واجهوها في إدارة عمليّة التعلِيم والتعلُّم، كما تم الكشف عن العديد من

مجموعة النقاش والتربية الأبويّة مع الأولياء من مدرسة باب سويقة، المدينة، تونس 2020.

مجموعة تعبير مع أطفال مدرسة باب سويقة في إطار الورشة الخاصّة بالفنون التشكيلية، المدينة، تونس 2020

المشاعر السلبية مثل اليأس، الغضب، الإحباط، التمرّد، الحِقد، رفض الآخر، احتقار الذات وما الى ذلك، كما عادة ما يتم إسقاط هذه العدوانية على التلميذ بشكل عنيف. إضافةً الى ذلك، تم التوصل إلى أهميّة الانفصال العاطفي الذي يتيح إجراء تقييم موضوعي للوضع من خلال العمل على الذات لتوضيح ما يعتمِد على الذات وما يعتمِد على الآخر بِغية تحسين الإدارة المهنية.

2. أدوات التعلِيم والتعلُّم

يتمثّل التعلِيم في تحويل طرق التفكير والتحدث واستخدام الأدوات الدلاليّة من خلال اللجوء إلى العديد من أنشطة العمل (نصوص، رسُومات، أجسام، تمارين وما إلى ذلك). يتقبّل التلاميذ التعلُّم بشكل أفضل من خلال جعل المواد التعليمية خاصة بهم، ولكن مع الاسف لا تتوفّر الأدلة المنهجية للمعلمين، كما أن المواد التعليمية التي أعدها المركز الوطني البيداغوجي (CNP) فشِلت في الإستحواذ على إهتمام التلاميذ باعتبارها تفتقر الى الجاذبية، وبالتالي، فإن هذا النقص في الأدوات المُلائمة يسبب عدم ارتياح للمعلم مما يؤدي إلى توتّرات مع التلاميذ وأولياء الأمور. كما يساهم هذا الافتقار إلى الثقة المتبادلة في جعل بيئة التعلُّم غير صحية، لذلك، من الضروري إعادة الثقة للمعلِّم وتقدير وظيفته في نقل المعارف مما يُمكّن التلاميذ من سُرعة اكتشاف ما إذا كان معلمهم يعتبر مهنته مورِد رزقٍ قبل كل شيء، أو إذا كان الأخير شغوفًا بالمادّة الي يُدرّسها على وجه الخصوص أو بعملية التعلم وما إذا كان مهتمًا بتلاميذه حقًا.

3. إدارة القِسم

يلجأ المعلمون إلى العقاب من خلال الكلام والإهمال في القِسم واستدعاء الوالدين، لذلك، قام الأطباء النفسيون بإنجاز أعمال إعادة تأطير حول العِقاب داخل القِسم لتجنب الأفعال التي تنطوي على عقوبة قاسية وجميع أنواع التحقير النرجسي، إضافةً الى تنظيم اجتماعات - لقاءات أسبوعية لتقييم نتائج التلاميذ وسلوكياتهم وتصرفاتهم، الى جانب التفكير في المجالات التي تحتاج إلى تحسين بِغية تشجيع تحالف الأولياء والمعلمين والمعلّمات.

4. التقييم

من الضروري إقصاء أي تقييم ذاتي، في الواقع، إذا كانت الجهة المسؤولة عن تقييم أداء الشخص تتوقع منه أن ينجح فإنه غالبًا ما يميل إلى النجاح والعكس صحيح إذا كان يُتوقع منه الفشل، مما يؤثر على حماس التلميذ وثقته بنفسه، لذلك، يعد من المُستحسن تقدير الجهد المبذول وإجراء تقييمات نوعية الى جانب تشجيع إجراء تقييمات ذاتية.

5. التعلِيم في ظلّ التباين

يمثّل تباين المستوى التعليمي للتلاميذ مشكلة بالنسبة للعديد من المعلمين والمعلّمات، إذ يُعتبر عائقًا يحول دون فعاليّة عمليّة التعليم مما يؤدي إلى توتّرات داخل القِسم وشعور المعلمين والمعلّمات بالذنب في بعض الأحيان.

6. التواصل

توصف عملية التواصل داخل النظام الهرمي بأنها تتخذ منحى تنازلي ومتناقض وقاسي، حيث تسبب هذه العلاقة العمودية مشاعر الإحباط والغضب، كما يُعتبر التسلسل الهرمي نِظامًا استبداديًّا لا يتيح إمكانية للإصغاء ونادرًا ما يتم اعتبار من يحتل قمة الهرم مرافقًا وميسرًا. تقوم العلاقة مع الوالدَين على آلية الإسقاط، حيث يقوم كلٌّ منهما بتحميل الآخر المسؤولية ويتهمه بانعدام التعاطف وعدم الكفاءة مما يولّد علاقة صراع قائمة على انعدام الثقة والتنافُس.

7. التحكم في الغضب والعنف

تتسم العلاقات الاجتماعية لدى المعلمين والمعلّمات بوجود الغضب والعنف حيث يتسبب التسلسل الهرمي في تحوّل المعتَدى عليه الى مُعتدِي (المدير و/ أو المتفقد - المعلم - التلميذ). يمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء سياق العنف والغضب السائد في البيئة المدرسية والذي يتسرّب إلى الحياة الخاصة، إذ تحدث المعلمون عن فقدان السيطرة على المشاعر السلبية، خاصة الغضب بعد الحصص وعند العودة إلى المنزل كما قاموا بالتعبير عن الحاجة إلى التفريغ العاطفي. ينبع تكوُّن الشعور بالغضب في القِسم من الحاجة إلى السيطرة على القاعة في مواجهة بعض التلاميذ الغير مُطيعين وعدم الاعتراف بالجهد الذي يبذله المعلم في التعامل مع قِسم يضم أشخاصًا صعبي المِراس، مما يؤدي في الأخير الى تنامي الشعور بالإحباط يوميًا بسبب الاحتياجات التي لم يتمّ تلبيتها.

8. التعليم أثناء جائحة كورونا

اعتبر العديد من المعلمين والمعلّمات الحجر الصحي فرصة مفيدة لأخذ استراحة من أعباء الحياة اليومية، بالنسبة إليهم، تعلق الأمر خلال هذا الوقت بإعادة التفكير في بعض العلاقات الشخصية المُتدهورة (الزوجية، الأسرية والأبوية وما الى ذلك) أو بدء التفكير في المسائل الوجودية المُتعلقة بالوضع والواقع الملموس للجائحة والحياة. ومع ذلك، تم التعبير عن مجموعة من ردود الأفعال مثل القلق، الخوف من الموت، الاستخدام المُفرط لشبكات التواصل الاجتماعي، إعادة النظر في العلاقة مع الوقت الى جانب الخوف من المجهول والقلق من الانقطاع عن الدراسة.

تحليل الممارسات المهنية مع المعلمين والمعلّمات من مدرسة نهج المر، المدينة، تونس 2020.

الورشة الخاصّة بالمسرح في مدرسة نهج المر، المدينة، تونس 2019.

تحليل الممارسات المهنية مع المعلمين والمعلّمات من مدرسة باب سويقة، المدينة، تونس 2019.

الملخّص والاستنتاجات

أدت مجموعات التعبيرو النقاش وأنشطة الوساطات الفنية المختلفة للأطفال وكذلك مجموعات المناقشة مع الأولياء أو مجموعات تحليل الممارسة المهنية التي أجريت مع المعلمين والمعلّمات إلى التوصّل إلى سلسلة من الاستنتاجات.

أ. في ما يتعلق بالأطفال

يعدّ «العنف التعبيري» أكثر أنواع العنف انتشارًا، وهو العنف الذي ينشأ عن فقدان السيطرة على النفس. ويسعى الطفل من خلال سلوكه العنيف إلى الانتقام كرد فعل على الإحباط الناتج عن الإعتداء عليه.

يريد هؤلاء الأطفال تجنّب الوقوع في ظروف مشابهة لتلك التي عاشوها. لقد اعتاد بعض الأطفال على العنف اللفظي لدرجة أنهم لم يعودوا يعتبرونه عنفا. يؤدي هذا إلى قصور في التحكّم بالمشاعر وصعوبة في تحدث الأطفال عن أنفسهم وعمّا يشعرون به وما يفكرون به كما لو أن جزءًا من فضاءهم النفسي لم يكن في متناولهم.

1. مساهمة أنشطة الوساطة الفنية

من خلال هذا المشروع، وجدنا أن ورشات العمل التي أقيمت مع الأطفال مثلت فضاءا جديدًا من الحرية. على حد تعبير الأطفال، كانت اللحظات التي قضوها خلال ورشات العمل «فريدة من نوعها». سمح لهم هذا الوقت بخرق الروتين اليومي. عمليّا، يوجد مزايا جوهرية لأنشطة الوساطة الفنيّة التي كانت مجزية بشكل فوري للأطفال المشاركين، حتى لو لم تكن متوقعة بشكل واضح: المتعة الجمالية والخصائص الترفيهيّة والمعرفية للنشاط والجانب الاجتماعي والمرح. كانت ورشات العمل بالنسبة لهم مكانًا للتعرف على الذات والآخر ومكانا للإبداع، ضمن إطار محدد جيدًا.

2. تحسين المهارات العاطفية والاجتماعية

تمت مرافقة الأطفال، من خلال ورشات العمل التي اختلف موضوعها من جلسة إلى أخرى، في تطورهم الفردي، من خلال دعمهم في اكتشافاتهم واهتماماتهم. لقد سمحت ورشات العمل للتلاميذ بالتفاعل مع أقرانهم، من خلال التشارك واللعب وتبادل المعرفة والاكتشاف، مما يسهل اندماجهم الاجتماعي. على مدار الجلسات، وبفضل استمرار ورشات العمل، تم إثراء مهارات التنشئة الاجتماعية للأطفال وتحسينها إلى حد ما. خلال ورشة العمل الأولى لوضع ميثاق للالتزامات، تمكّن التلاميذ من إعداد إطار عمل ومن فهم القواعد الأساسية التي يجب احترامها خلال جميع ورشات العمل. وقد قام الأطفال، تدريجيًا، بتحسين قدرتهم على الانتماء إلى المجموعة. كما أنهم أصبحوا أكثر تسامحًا وتعاطفًا واحترامًا لبعضهم البعض. في نفس الوقت، تمّ العمل على إدارة المشاعر مع الأطفال ومساعدتهم على التعرّف على المشاعر الأساسية حتى يتمكنوا من التعبير عنها بشكل مناسب. خلال ورشات العمل، أظهر العديد من الأطفال حاجة كبيرة للتواصل. كان من المهم تحليل أنماط التعبير المختلفة لدى الأطفال بشكل صحيح، من خلال تسيير أنشطة لعب الأدوار والترابط الحر للأفكار. وقد رحبت المنشّطات ارتجالات التلاميذ باعتبارها ثمرة تعبيراتهم الشخصية، مما يسمح لهم بتعزيز احترامهم لذاتهم بشكل إيجابي.

3. تنمية ملكات التخيّل

سمحت ورشات العمل للأطفال بالتعبير عن كل تخيّلاتهم. طور الأطفال الذين شاركوا بانتظام مهاراتهم التخيّلية. هم الآن أكثر استعدادًا للتعبيرعن أنفسهم من خلال الأنشطة المسرحيّة و أنشطة الرسم الحر. من خلال ورشات العمل، قاموا بخلق أعمال مرضية، مما زاد من تقديرهم لذواتهم.

4. التطور الفكري

اكتسب بعض الأطفال مهارة جديدة، من خلال مجموعات التعبير التي تشجّع على التعبير عن المشاعر، و هي إعادة تحديد مواقفهم في ما يتعلّق بأنفسهم وبالآخرين. أصبح هؤلاء الأطفال الآن قادرين على قبول عيوبهم وأخطائهم. أصبحوا يعرفون حدودهم وينتقدون أنفسهم. وهكذا، من خلال المشاركة والإدماج، سمحت ورشات العمل للأطفال بتطوير تفكيرهم النقدي والتفكير في ممارساتهم السيئة. بالإضافة إلى ذلك، حسّن الأطفال قدرتهم على الحفاظ على علاقات صحية قائمة على الحوار. لقد ساعدت ورشات العمل في تسهيل تعلّم الأطفال وتحسين مهاراتهم في ترشيد الأمور والتركيز والانضباط الذاتي.

5. تحسين المهارات السلوكية

ركزت الأنشطة المشتركة على السلوكيات غير اللائقة، وذلك عقب إجراء العديد من ورشات العمل مع الأطفال. في الواقع، يبدو الأطفال أقل اندفاعًا وعدوانية بشكل طفيف، وذلك بفضل وعيهم بأهمية التواصل والتعبير اللفظي في تفاعلاتهم الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، هم الآن أكثر التزاما بالمساهمة في المجتمع المحلّي. وبالفعل، غذّت ورشات العمل شعورهم بالانتماء إلى المؤسسة وغيرت نظرتهم تجاه المدرسة. وبالتالي، أنشأ الأطفال روابط بين بعضهم البعض وأعادوا تثمين الفضاء التعليمي.

ب. في ما يتعلّق بالأولياء

يعدّ «العنف المشروع» أكثر أنواع العنف شيوعًا بين الوالدين، والذي يبرر استخدام العنف في مواقف معينة حيث يكون ذلك ضروريًا أو لتحقيق أغراض تعليمية. اكتسب الأولياء مواقف جديدة بفضل عمليّة تبادل الخبرات التي حصلت. على المستوى العلائقي المرتبط بالطفل، فقد تسامحو مع فشل طفلهم وحاولوا تعزيز الجهود التي يبذلها بشكل إيجابي، مع مراعاة خصوصيته. في الواقع، وللحد من العنف بين الأطفال، يجب أن نبدأ بتقليل العنف الموجّه ضدهم أوّلا،

سواء العنف الجسدي أو النفسي. كان من الضروري أن يدرك الأولياء أن العنف ليس جسديًا أو لفظيًا فحسب، بل يمكن أن يكون أخلاقيًا أيضًا. على مستوى الأسرة، تقرّ الأمهات بوجوب ترك مساحة للآباء لتحمل مسؤولياتهم معهن. أما عن الإطار المدرسي يعدّ التواصل الأفضل وتقليل المواجهة مع الإطار التربوي أمران بالغي الأهميّة. يتقاسم المعلم والأب أو الأم مسؤولية تأطير الطفل. وتعني حقيقة إلقاء المسؤولية على الطرف الآخر أننا نبتعد عن تحقيق مصالح الطفل الفضلى.

ج. في ما يتعلّق بالمعلمين والمعلّمات

تمّت ملاحظة استخدام المعلّمين والمعلّمات لنوع العنف المسمّى «العنف الأداتي»، والذي يشير إلى استخدام العنف كوسيلة لتصحيح سلوك شخص ما يعتبر سلوكه غير مقبول. جعلت المناقشات إبراز العيوب في هذه المقاربة أمرا ممكنا، إذ أنها تقوم على التواصل الخاطئ المستند إلى التعميمات والتفسيرات. يتم تمثيل الوسط المدرسي بشكل سيئ للغاية في الخيال الجماعي للمعلمين والمعلّمات. وهكذا، فإن العنف ضد التلميذ يعكس صورة العنف الذي يعاني منه المعلم والمعلّمة من بيئته المهنية. بدأ المعلمون والمعلّمات في الإنصات إلى الغضب الكامن داخلهم، بمعيّة فريق الأخصائيّين النفسيّين، لتحرير أنفسهم من الأحكام الخارجية وتأثيرات البيئة المحيطة بهم والتعبير عن احتياجاتهم. تمّ ملاحظة مكتسبات لدى المعلّمين والمعلّمات، بفضل تبادل الخبرات خلال مجموعات التعبير، والتي تتجلى في الشعور بالفخر والشجاعة والمثابرة في الإنجاز، رغم الصعوبات والعقبات. وقد أدى ذلك إلى اتفاق الجميع على أن مجموعات الحوار هي فرصة للتعبير اللفظي عن الجانب العاطفي للأطر المهنيّة والشخصيّة، دون ربطها بمواضيع محددة، و وجدت رغبة في تكوين نادٍ للتبادل والتشارك بين المعلمين والمعلّمات، مما يسمح بالخوض في نقاشات حول الممارسات التعليمية.

يقوم هذا التقرير التأليفي لبرنامج تفكيك العنف عن طريق الفن، عبر استخدام عدة آليات (مجموعات النقاش والتعبير وأنشطة الوساطة الفنيّة) و المقاربة التي يقوم بتنفيذها المهنيّون، بتسليط الضوء على العنف الذي يواجهه الأطفال - فيما بينهم وفي البيئة الأسرية وفي الوسط المدرسي - و بإرساء الإجراءات اللازمة لتفكيكه.

لاحظنا، بعد إجراء العديد من ورشات العمل مع الأطفال من المدرستين، أن تدخّلنا كان مرضيًا بشكل عام. أصبح الأطفال الآن أقل عدوانية تجاه بعضهم البعض، ولو كان ذلك بشكل جزئي. كما أنهم أصبحوا أكثر تعاطفاً وتعاوناً ويتمتّعون بروح جماعية تتوطّد بشكل تدريجي. أصبح الأولياء والمعلّمون والمعلّمات أكثر تقبلاً واستجابةً للأفكار المتعلقة بالتعليم الإيجابي. وبالتالي، فإن تفكيك العنف عن طريق الفن ممكن من خلال ترسيخ هذه المقاربة على المدى الطويل ومن خلال مخاطبة جميع الشخصيات الفاعلة في محيط الطفل.

الورشة الخاصّة بالمسرح في جمعيّة «الشارع فن»، المدينة، تونس 2020.

تفاصيل «قسمي الأحلى» في مدرسة عبد العزيز لصرم، المعروفة باسم كتّاب الوزير، المدينة، تونس 2020.

الفضاء الفني المؤقت (ZAT) في عددها الخامس المجلة الثقافية الصّادرة عن جمعية «الشارع فن» في شهر جانفي 2021.

جمعية «الشارع فن»
40 نهج كتاب الوزير
1000 المدينة - تونس العاصمة
www.lartrue.org
@lartruetunisie

عبارات الشُكر

ترغب جمعيّة «الشارع فن» في التوجّه بالشّكر إلى جميع الأشخاص الذين شاركوا في برامج «فنون وتربية» و«قسمي الأحلى» و«تفكيك العنف عن طريق الفن» على عملهم والجهود التي بذلوها ودعمهم منذ عام 2012.
تتوجّه الجمعيّة بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى كلّ من وزارة التربية والمندوبية الجهوية للتربية بتونس 1 والمندوبية الجهوية للتربية بالقيروان والمندوبية الجهوية للتربية ببنزرت ومندوبية حماية الطفولة بتونس والمُديرين والمديرات والمُعلمين والمعلّمات والأطُر التربويّة العاملين بالمدارس الابتدائية الحكيم كسّار الحفصيّة - مدينة تونس، العباسية - صفاقس، معقل الزعيم - مدينة تونس، حي الهلال 2 السيّدة/ تونس، عبد العزيز الأصرم كُتاب الوزير- مدينة تونس، باب سويقة - مدينة تونس، نهج المَرّ - تونس، حي النور - المنشيّة/القيروان، شاكر 1 - منزل بورقيبة، إلى جانب الأولياء والتلاميذ بهذه المدارس. كما تتوجّه بالشكر إلى المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والتعمير بتونس مِن إدارة وأساتِذة وطلبة والمعهد العالي للفنون الجميلة بتونس مِن إدارة وأساتِذة وطلبة والمدرسة العُليا لعلوم وتكنولوجيات التصميم بالدندان مِن إدارة وأساتِذة وطلبة والمعهد العالي للفنون والحِرف بالقيروان مِن إدارة وأساتِذة وطلبة والمعهد العالي للفن المسرحي بتونس مِن إدارة وأساتِذة وطلبة المعهد الأعلى لإطارات الطفولة قرطاج درمش مِن إدارة وطلبة، إضافةً الى شركائنا في المجتمع المدني: جمعية مَسارِب وجمعية أدوارة وجمعية إيقاظ والجمعية التونسية للزراعة المُستَدامة وجمعية OSVIC وجمعية سَلامات وجمعية إشارة والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان - فرع القيروان ومخبَر 619.
وتتوجّه بأسمى عبارات الشكر والتقدير أيضًا إلى اللّجنة المُتكونة من أطباء نفسيين وأخصائيين في علم نفس الأطفال إلى جانب الأخصائيات في علم النفس اللواتي قُمن بتنشيط ورشات العمل وأولئك اللواتي توَلّين عملية المراقبة، إضافةً إلى الخُبراء في مجال الطفولة المتدخلين في اللقاءات والمؤتمرات والفنانين والجهات الفاعلة والذين قاموا بتيسير ورشات العمل والتقنيين والموسيقيين والمصورين الفوتوغرافيين ومصوري الفيديو.

المُساهمون

إدارة النشر:
سلمى وسفيان ويسي
وجان غوسنس

التنسيق:
أوريلي مشغول
التحرير والتنسيق والتدقيق الإملائي:
إلسا داسبينا

الترجمة:
ناو مالتيز
ومروان الزغواني
وغفران ورغي

تصميم الجرافيك:
ورشة بودلير
(كاميل بودلير
وديميتري شاريل)

إنجاز تصميم الغرافيك باللغة العربية:
نبراس الشَرفي

مصادر الصور الفوتوغرافية:

© ماتيلد أزوز
(ص 28 و32 و38)
© صفاء بن إبراهيم
(ص 5 و15 و21 و24 و28 و36)
© ريم الشقي
(ص 18)
© ناو مالتيز
(ص 9 و12 و13 و19 و27)
© رحاب المستيري
(ص 21 و24)
© بول غايارد
(ص 5 و7 و9 و13 و15 و18 و19 و25 و27 و31 و32 و35 و39)

تولّت 'سيمباكت تونس' عملية طباعة 500 نُسخة خلال شهر جانفي 2021.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية «الشارع فن»

يُمنع منعاً باتاً نسخ المحتوى كليًّا أو جزئيًّا.

الشُركاء

شارك الاتحاد الأوروبي في تمويل مشروع «تفكيك العنف عن طريق الفن» التابع لجمعية «الشارع فن»،

في حين شاركت مؤسّسة دروسوس في تمويل مشروع «مُختبر للفضاءات الفنية» التابع للجمعية.

وتَحظى جمعية «الشارع فن» بدعم مؤسسة فورد ومؤسسة دروسوس (بصفة جزئيّة) ومؤسسات DOEN إلى جانب مشروع تفنّن ومنظمة MIMETA والصندوق العربي للثقافة والفنون (AFAC)، من خلال مِنحة الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون (SDC).

في حين يتولى المعهد الفرنسي بتونس دعم الورشات الفنية.